رسالة الأمين
في الوصول لربِّ العالمين

ويليه

الوصايا

لسيدي قطب الأقطاب وغوث الأغواث

أبي الحسن الشاذلي

قدس الله سرَّه

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر

دار الحقيقة

مطبـــوعـــات

دار الحقيقة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٨م

دار الحقيقة

للبحث العلمي

القاهرة- مصر

٠٠٢/٠١٠١٤٦٣٠٢٧

توزيع دارة الكرز

١٧ ش منشية البكري- مصر الجديدة — القاهرة

ت ٢٤٥٥١٣٠٤

اسم الكتاب:

رسالة الأمين في الوصول لرب العالمين

المؤلف: أبو الحسن الشاذلي.

المحقق: الشيخ أحمد فريد المزيدي.

الناشر: دار الحقيقة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

٢٧٣٦٩/٢٠٠٧م

الترقيم الدولي/ **isbn**

٩٧٧-٦١٦٥٦-٨٠-0



مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي خصَّ أولياءه بالولاية والاصطفاء، وأنعم عليهم بالمحبَّة والصفاء، فهم عن بابه لا يبرحون، وأودع قلوبهم الحكم والأسرار، وصانهم عن الأغيار والأكدار، فهم في جميع أعمالهم مخلصون، وكِلهم في جميع أحوالهم وقدسهم في جميع أفعالهم؛ فهم بمشاق الأعمال متلذِّذون، جدُّوا في طلب رضاه، وزهدوا عن كل ما سواه، وفيما لديه يرغبون، فألبسهم حُلل القرب والاتصال، وخلع عليهم ملابس الكرامة والإقبال، فهم عرائس ولا يرى العرائس المجرمون، فسبحان مَن خصَّ مَن شاء بما شاء قال تعالى: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أدَّخرها ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أعجز الفصحاء والبلغاء، وتركهم في ريبهم يتردَّدون، وأفضل جميع الأنبياء والمرسلين فهم به إلى ربهم يتوسَّلون، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما صاح طائرٌ على أعلى الغصون.

أما بعد .. أيها الولي الحبيب والأخ الصافي القريب، فإنك حينما تبحث عن أصول آداب الطريق إلى الله تعالى وما يحتاج إليه المريد السالك في طريق الوصول إلى معرفة الله تعالى، ومن الأصول التي ليس للعارف والمريد غنى عنها من معرفة أمر الطريق في مقام المعرفة والسلوك والتحقيق، وغاية آداب البدايات والتوسط والنهايات في الوصول لحضرة التحقق بالأسماء والصفات، كان مربي العارفين وغوث الأغواث سيدي أبي الحسن الشاذلي قد نطق ظاهرًا وباطنًا بهذه المعارف لتكون أصولاً لكل مريد وعارف من بحر الحقيقة هو غارف.

فكان هذا الكتاب- المخطوط- الذي بين أيدينا يخرج لأول مرة لعالم الطباعة

بنصه الأصلي، حيث إن لطائف المنن لسيدي ابن عطاء الله السكندري، ودرة الأسرار لسيدي ابن الصباغ، والمفاخر العلية لابن عياد، وتعطير الأنفاس لأبي الصلاح الوفائي، وغيرها من الكتب التي ترجمت وذكرت كلام الشيخ الشاذلي ﷺ ما هي إلا أزهار مقتطفة من هذا الكتاب المبارك، وإن فيه زياداتٌ عليها كثير ملاحظ، وكذلك فائق ترتيب، وقد وثقه البغدادي في هدية العارفين (١/ ٣٧٦)، ضمن رسائل أخرى للشيخ ﷺ، ومن المعلوم لدينا أن الشيخ لم يضع شيئًا من الكتب، وذلك تحقيقًا ومقامًا وما هي إلا إملاءات من حضرة الشيخ -قدس الله سره- على تلامذته فدُونَتْ عنه.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ: كان سيدي أبو العباس المرسي ﷺ من أكابر العارفين، وكان يقال: إنه لم يرث علوم الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ غيره، وهو أجلُّ مَن أخذ عنه الطريق، ولم يضع ﷺ شيئًا من الكتب.

وكان يقول: علوم هذه الطائفة علوم تحقيق، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق، وكذلك شيخ شيخه سيدي أبو الحسن لم يضع شيئًا، وكان يقول: كتبي أصحابي.

وقد ألحقنا إتمامًا للفائدة وصية الشيخ المباركة التي هي بمثابة حكم شاذلية.

هذا وقد قمت بالضبط والتحقيق، والتخريج والعزو والتوثيق، وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وحصول بركة الأعتاب، وطمعًا في ورثة أُولي الألباب.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

كتبه/ أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي ٠١٠١٤٦٣٠٢٧



ترجمة سيدنا أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

(٥٩١ – ٦٥٦ هـ)

إمام السادة الشاذلية، نسبة إلى شاذلة، قرية بإفريقية، نشأ ببلده، فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها، وصار يناظر عليها مع كونه ضريرًا.

ثم سلك منهاج التصوف، وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره، وطار في فضاء الفضائل طيره، وحمد في طريق القوم سُراه وسيره.

نظم فرقق ولطف، وتكلم على الناس فقرط الأسماع وشنف، وطاف وجال ولقي الرجال.

أخذ عن سيدي ابن مشيش، وأبي سعيد الباجي.

قدم إلى الإسكندرية من المغرب، وصار يلازم بثغرها من الفجر إلى المغرب، وينتفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المطرب.

وكان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء والدنيا حوله، وتنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكوسات بين يديه، ويأمر النقيب أن ينادي: من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلي.. ونودي في سره: يا علي، أنت الشاذلي.

وقال الحنفي: اطلعت على مقام الجيلاني والشاذلي، فإذا مقام الشاذلي أرفع.

ثم تحول إلى الديار المصرية، وأظهر فيها طريقته المرضية، ونشر سيرته السرية.

وكان يقرأ «الشفا» للقاضي عياض، وتفسير ابن عطية.

قيل له: من شيخك؟ قال: أما فيمن مضى فعبد السلام بن مشيش، وأما الآن، فإني أُسقى من عشرة أبحر: خمسة سماوية، وخمسة أرضية.

وحج مرارًا، ومات قاصدًا الحج في طريقه.

وورث القطبانية عن أبي الحجاج الأقصري ﷺ.

قال ابن دقيق العيد: ما رأيت أعرف بالله منه، ومع ذلك آذوه، وأخرجوه بجماعته من المغرب، وكتبوا إلى نائب الإسكندرية أنه يقدم عليكم مغربي زنديق، وقد أخرجناه من بلادنا، فاحذروه.. فدخل الإسكندرية، فآذوه، فظهرت له كرامات أوجبت اعتقاده.

وقال الشيخ المحقِّق سيدي داود بن باخلا – قدس الله سره – في «شرح حزب البحر» المقول الأول في شيءٍ من ذكر بعض أوصاف صاحب هذا الدعاء وجلالة مقداره وفخامة منزلته وظهور أنواره: فهو السيِّد الأجل الكبير، القطب الربَّاني، العارف الوارث، المحقِّق بالعلم الصمداني، صاحب الإشارات العلية، والحقائق القدسيَّة، والأنوار المُحمدية، والأسرار الربَّانية، والمنازلات العرشيَّة، الحامل في زمانه لواء العارفين، والمقيم في دولة علوم المحقِّقين كهف قلوب السالكين، وقبلة همم المريدين، وزمزم أسرار الواصلين، وجلاء قلوب الغافلين، مُنشئ معالم الطريقة بعد خفاء أسرارها، ومُبدي علوم الحقيقة بعد خبو أنوارها، ومظهر عوارف المعارف بعد خفائها واستتارها، الدالُّ على الله تعالى وعلى سبيل جنَّته، والداعي على علمٍ وبصيرةٍ إلى جنابه وحضرته، أوحد أهل زمانه علمًا وحالاً، ومعرفةً ومقالاً، الشريف الحسيب النسيب، ذو النسبين الطاهرين، والسُّلالتين الطيبتين، الغيبية والشاهدية، والوارثتين الكريمتين الملكيَّة والملكوتيَّة، المُحمدي العلوي الحَسني الفَاطمي، الصحيح النسبين، والكريم العنصرين، فَحل الفُحول، إمام السَّالكين، ومعراج الوارثين، علي الشَّاذلي، الذي تُغنيك سمته عن مدحٍ أو قولٍ مُتنحل، الأستاذ المُربِّي الكامل أبو الحسن ﷺ.

جاء في طريق الله تعالى بالأسلوب العجيب، والمنهج الغريب، والمسلك العزيز القريب، وجمع في ذلك بين العِلم والحال والهمَّة والمقال، اشتملت طريقته على الجذب والمجاهدة والعناية، واحتوت على الأدب والقرب والتسليم والرعاية، شُيِّدت بالعِلمين الظاهر والباطن من سائر أطرافها، وقُرنت بصفة الكمال شريعة وحقيقة من جميع أكنافها، تيامنت عن سُكرٍ يُؤدِّي إلى تعدِّي الآداب الشرعيات، وتياسرت عن

صحوٍ يفضي إلى الحجاب عن أولي الألباب، ودلت على حقائق التوحيد وأسرار المجاهدات، وتسامت عن انقباض يوقع في الانكماش وسوء الظن، وتحجبت عن روح الرجاء ولذاذة الشوق والطلب، وتناءت عن انبساط يُنزل بصاحبه عن مقام الاحتشام والحياء، ويؤول به إلى سوء الأدب، فاستوت بتوفيق الله تعالى في نقطة الاعتدال، وظفرت بهداية الله دون كثير من الطرق بصدق التوسُّل والكمال.

قال الفقيه الشافعي عمر بن علي المصري المعروف بابن الملقن ٨٠٤ هـ في كتابه طبقات الأولياء في ترجمة الإمام أبي الحسن الشاذلي ﷺ إنه علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي الضرير الزاهد نزيل السكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية ، انتسب في بعض مصنفاته إلى الحسن ابن علي بن أبي طالب ﷺ فقال بعد يوسف المذكور بن يوشع ابن برد بن بطال ابن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان كبير المقدار عالي المقام، صحب الشيخ نجم الدين بن الأصفهاني نزيل الحرم، ومن أصحابه الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ.

وقال السيوطي ٩١١هـ في «حسن المحاضرة» عند ذكر من كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية ما نصه: الشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية هو الشريف تقي الدين علي بن عبد الله عبد الجبار.

وقال المؤرخ صلاح الدين الصفدي في كتابه «نكت الهميان»: إن المترجَم هو علي بن عبد الله بن عبدالجبار بن يوسف أبو الحسن الشاذلي بالشين والذال المعجمتين وبينهما ألف وفي الآخر لام، وشاذلة قرية بإفريقية، المغربي الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، وقد انتسب في بعض مصنفاته إلى علي بن أبي طالب ﷺ، وهو رجل كبير القدر كثير الكلام عالي المقام له نظم ونثر، وكان الشاذلي ضريراً وحج مرّات وتوفي رحمه الله تعالى بصحراء عيذاب قاصدَ الحج فدفن هناك في أول ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة اهـ.

وذكر ابن الملقن والشيخ عبد الوهاب الشعراني والمناوي وغيرهم: أن من مريديه القطب أبي العباس المرسي ﷺ المدفون في الإسكندرية اهـ.

و أبو العباس المرسي شيخ ياقوت العرشي رضي الله عنهما.

قلنا: ولو لم يكن لأبي الحسن الشاذلي من المريدين إلا سيدنا أبي العباس المرسي رضي الله عنه وكذا لو لم يكن لأبي العباس المرسي من المريدين إلا ياقوت العرشي لكفاهما دليلاً على علو كعبهما ومقامهما رضي الله عن الجميع.

تنبيه: وليعلم أنه لا يجوز الطعن في من ثبتت عدالته وإمامته بنقل متشابه لا يثبت بل لا يصح عن المترجَم له ولا عن أمثاله، وهو من سوء الظن بعباد الله ما نهينا عنه، فمن اشتغل بها نقل من العبارات الموهمة عن هؤلاء الأعلام فقد عرض نفسه للانزلاق في متاهات الزندقة؛ إذ ليس كل ما نقل عنهم بصحيح، وما ثبت منه بإسناد العدول فإن له مخرجاً صحيحاً موافقاً للشرع، وما لم يكن كذلك فإننا نبرّئ أبا الحسن الشاذلي وأمثاله - رضي الله عنهم - منه تحسيناً للظن بهم وهو ما أمِرنا به في من هو دونهم من عوامّ المسلمين فكيف بمن هو مثلهم من أئمة الورع والدين، ثم إننا لو تتبعنا كل ما قيل في أهل العلم لوجدنا أنه لم ينجُ من الجرح أمثال أبي حنيفة النعمان بن ثابت والإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنهما إذ أنهما قد رميا حسداً وبغياً بما يلزم منه خروجهما من الملة وما ذاك إلا باطل من القول، بل رضي الله عنهما وأرضاهما وأمثالهما بما نفعوا الإسلام به.

وانظر ترجمته في: تعطير الأنفاس في مناقب أبي الحسن والمرسي أبي العباس لأبي الصلاح الوفائي، والمفاخر العلية للنفزي، كلاهما بتحقيقنا.

وطبقات الأولياء لابن الملقن (٤٥٨)، ومرآة الجنان لليافعي (٤/ ١٤٠)، والطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ٤)، طبقات الشاذلية (١٥)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٧٨)، الكواكب الدرية للمناوي (٥٣٨) بتحقيقنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله حمدًا يُوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ كلما ذكره الذاكرون، وكلما سها عنه الغافلون، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ: الطريق القصد إلى الله تعالى أربعة أشياء فمن جازهن كلهن فهو من الصديقين المحققين، ومن جاز منهن ثلاثًا فهو من أولياء الله المقربين، ومن جاز منهن اثنتين فهو من الشهداء الموقنين ومن جاز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين.

أولها: الذكر وبساطه العمل الصالح وثمرته النور.

الثاني: التفكر وبساطه الصبر وثمرته العلم.

الثالث: الفقر وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه.

الرابع: الحب وبساطه بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصلة للمحبوب.

الباب الأول

في آداب العزلة

قال ﷺ: اعلم أيدك الله أنك إذا أردت الوصول إلى الله فاستعن بالله واجلس على بساط الصدق مشاهدًا ذاكرًا له بالحق، ورابطًا قلبك بالعبودية المحضة على سبيل المعرفة، ولازم الذكر والمراقبة والتوبة والاستغفار، فأنا أشرح لك هذه الجملة لئلا يقع الغلط فيها على سبيل الوصلة، وهي أن تقول: الله الله مثلاً، أو ما شاء الله من الذكر مراقبًا لقلبك بالتقوى بترك الدفع عن نفسك والجلب لها، وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُرْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ [الملك: ٢٠] الآية، فهذه الآية في الدفع، وفي الجلب قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١] الآية.

ووصف الذكر أن تذكر بلسانك وتراقب قلبك فما ورد عليك من خير من الله قبلته وما ورد عليك من ضده كرهته رجاءً إلى الله في الدفع، والجلب كما وصفت لك

وأحذرك أن تجلب لنفسك أو تدفع عنها شيئًا إلا بالله، فإن جاء من سرك شيء من ذنب أو عيب أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل فبادر إلى التوبة والاستغفار من الجميع أما من الذنب أو العيب فواجب شرعًا، وأما من العمل الصالح أو الحالة الجميلة فبالغيبة، واعتبر باستغفار النبي ﷺ بعد البشارة والتيقن بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر هذا في معصوم لم يقترف ذنبًا قط وتقدس عن ذلك ﷺ فما ظنك بمن لا يخلو من ذنب أو عيب في وقت من الأوقات. وأما الجلوس على بساط الصدق فبتحقيق أوصافك من الفقر والضعف والعجز والذل واجلس عليه ناظرًا لأوصافه تعالى من الغنى والقدرة والعزة والقوة فتلك من أوصاف العبودية وهذه من أوصاف الربوبية، والصدق ملازمة أوصافك ولا تنتقل عنها إلى ما ليس لك فتكون من الخائبين بقلب الحقائق، وقل: يا غني يا قوي يا قدير يا عزيز من للفقير غير الغني، ومن للضعيف غير القوي، ومن للعاجز غير القادر، ومن للذليل غير العزيز فأجسني على بساط الصدق وألبسني لباس التقوى الذي هو خير وهو من آياتك واحجبني بعظمتك عن كل شيء هو لك واملأ قلبي بمحبتك حتى لا يكون فيه متسع لغيرك إنك على كل شيء قدير.

الباب الثاني
في أسماء النصرة

قال ﷺ: عند الدخول في العزلة فاستمسك بها ولا تعجل في شيء من أمورك وقل: بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون، وهذه أسماء الرضا وسعة الصدر، وفيما يرد عليك من الضيق في العزلة قل: حسبي الله آمنت بالله رضيت بالله توكلت على الله لا قوة إلا بالله، وقل في بعض مناجاتك وسؤالك: يا من وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم أسألك الإيمان بحفظك، إيمانًا يسكن به قلبي من هم الرزق، وخوف الخلق، واقرب مني بقدرتك قربًا تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك، وحجبته بذلك عن نار عدوك وكيف لا تحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء كلا إني أسألك أن تغيبني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني، إنك على كل شيء قدير.

الباب الثالث

في ثمار العزلة

قال ﷺ: ثمار العزلة الظفر بمواهب المنة، وهي أربعة: كشف الغطاء، وتنزل الرحمة، وتحقق المحبة، ولسان الصدق في الكلمة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٩].

الباب الرابع

في آفات العزلة

قال ﷺ: اعلم أن آفات العزلة في العوام القاصدين إلى الله تعالى على سبيل المعرفة والاستقامة في سلوك العلم إلى الله تعالى أربع: تعلق النفس بالأسباب، وركون القلب إلى الجهة المخصوصة في الاكتساب، واكتفاء العقل بما يحصل له من الاقتراب، وخطرات العدو بالأماني الصادّة عن المراد.

واعلم أن آفاتها في خواصهم أربع: الاستئناس بالوساوس والتحدث بالرجوع إلى الناس والتحديد في الوقت وهي من أمرات الإفلاس وملاقاة هواتف الحق على زعمه بالمعهود من الحواس، ولكل آفة سبيل في الجهاد بالرد إلى أصل التوحيد والمعرفة والحمل على سبيل الاستقامة، فإذا عرض لك عارض من جهة التعلق بالأسباب أو الركون المخصوصة في الاكتساب فارجعها إلى أصل المعرفة بالسوابق فيما قسم لها وأجري عليها وقل لها: اتخذت عند الله عهدًا، أو أنك لن ترزقي إلا بهذا السبب أو من هذه الجهة، وضيق عليها بالمعرفة وأغرقها في بحر التوحيد وقل: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولذلك قالوا: اغرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك.

وإن عرض لك عارض من جهة اكتفاء العقل مما حصل له من علم، أو عمل، أو نور، أو هدى، أو خطاب تتحرى فلا تغفل عن السابقة والخاتمة ولا عن فعل الواحد المختار الذي يفعل ما يشاء ولا يبالي بحسنة المقبل ولا بسيئة المدبر، وإن عرض لك عارض من خطرات العدو بالأماني الصادّة عن المراد وهي على ثلاثة

أوجه: إما من جهة الدنيا، وإما من جهة الآخرة، وإما من جهة الألطاف والمنازل والأحوال في الدرجات، فهي صادَّة عن المراد، والمراد العبودية المحضة ووجود الحق بلا سبب من الخلق، فالله تعالى يقتضي منك أن تكون له عبدًا أو تحب أن يكون لك ربًّا، فإذا كنت له عبدًا كان لك ربًّا، وإذا كان لك ربًّا من حيث يرضاه كنت له عبدًا ولا يدعك لغيره من طريق الحقائق فكيف بالأماني، فاعلم هذا الباب وأتقنه جدًّا واستعن بالله واصبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣].

فإذا كنت في درجة الخواص من القاصدين وعرض لك في عزلتك الوسواس بما يشبه العلم من طريق الإلهام والكشف من حيث التوهم فلا تقبل وارجع إلى الحق المقطوع به في كتاب أو سنة، واعلم أن الذي عارضك لو كان حقًّا في نفسه وأعرضت عنه إلى حق بكتاب أو سنة رسوله ﷺ لما كان عليك عتب في ذلك؛ لأنك تقول: إن الله قد ضمن لي العصمة في جانب الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام والمشاهدة فكيف؟ ولو قبلت ذلك من طريق الإلهام لم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة، وإذا لم تقبله إلا بهما فما بالك بأنس الوسواس المتوهم، فاحفظ هذا الباب حتى تكون على بينة من ربك ويتلو الشاهد من ذلك لاحقًا معها ولا إشكال والحمد لله، وإذا عارضك فيها عارض بالتحدث بالرجوع إلى الناس لتعرض عليهم ما أنت فيه فأنت معهم لم تخرج عنهم بشيء ولا تغتر باعتزال بدنك والقلب معهم فاهرب إلى الله تعالى فإن من هرب إلى الله آواه الله، وإن صفة الهروب إليه بالكراهة بجانبهم والمحبة بجانب الحق باللجأ إليه والاعتصام به: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران:١٠١].

وإذا عرض لك عارض التحديث بالرجوع، فجاهده بالعوارض الممكنة في العلم الحائلة عن ذلك مما يجوز أن يكون، واصرف همتك إلى الله بالتقوى كي يجعل لك من أمرك مخرجًا ويرزقك من حيث لا تحتسب، فإن جذبتك هواتف الحق، فآفاتها الاستشهاد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات ولا تردها إلى ذلك فتكون من الجاهلين، ولا تدخل في شيء من ذلك بعقلك وكن عند ورودها كما كنت قبل ظهورها حتى يتولى الحق بيانها وإيضاحها ويتولى هداك ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

الباب الخامس
في جهاد العَدو

قال ﷺ: ومن أراد ألاَّ يكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل والعبودية لله على بساط الفقر واللجأ والاستعاذة بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦] وتصحيح الإيمان بالشكر على النعمة، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، وصحة التوكل بهجران النفس، ونسيان الخلق، والتعلق بالملك الحق، وملازمة الذكر.

وإذا عارضك عارض يصدك عن الله فاثبت له قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]، وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله. وأضدادها أوصاف الربوبية فما لك ولها، فلازم أوصافك وتعلق بأوصاف الله فقل من بساط الفقر التحقيقي: يا غني من للفقير غيرك، ومن بساط الضعف: يا قوي من للضعيف غيرك، ومن بساط العجز: يا قادر من للعاجز غيرك، ومن بساط الذل: يا عزيز من للذليل غيرك تجد الإجابة كأنها طوع يديك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ومن أخلد إلى أرض الشهوات، واتبع الهوى، ولم يساعد نفسه عن التخلي، وغلبت عن التخلي فعبوديته في أمرين: أحدهما: معرفة النعمة من الله فيما وهب له من الإيمان والتوحيد، إذ حببه في قلبه وزينه وكره إليه أضداده من الكفر والفسوق والعصيان فتقول: ربِّ أنعمت علي بهذا وسميتني راشدًا فكيف أيئس منك وأنت تمدني بفضلك وإن كنت مخالفًا؟ فأرجوك أن تقبلني وإن كنت زائغًا. والأمر الثاني: اللجأ والافتقار إلى الله دائمًا فتقول: رب سلِّم سلِّم، ونجني وانقذني فلا طريق لمن غلبت عليه الأقدار وقطعته عن العبودية المحضة لله تعالى إلا هذان الأمران فإن ضيعهما فالشقاوة حاصلة والبعد لازم والعياذ بالله.

قال ﷺ: مخازن الشيطان أربع: إما أن تجلس مفكرًا فيما يقربك من الله فتأتيه، أو تتفكر فيما يبعدك منه فتجتنبه، وإما أن تجلس مفكرًا فيما سلف من ذنوبك فستغفر وتشكر، وإما أن تجلس مفكرًا فيما سبق من جنس عملك فتشكر وتستغفر، وقال: إن أردت أن تغلب العدو فعليك بالإيمان والتوكل وصدق العبودية والاستعاذة بالله من نزغاته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:١٠٠].

وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢].

وقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

وقال ﷺ: اتخذ الله وليًا واتخذ الشيطان عدوًا وقد استرحت.

وقال ﷺ: أتريد أن يغنيك الله حتى يغني بك من أحب أو توسل أو دعا أو سأل؟ قلت: كيف لي بذلك؟ قال: لا تتخذ منهم عدوًا ولا حبيبًا واتخذ الله حبيبًا، قلت: فكيف لي بالعداوة في الله والمحبة فيه؟ قال: ذلك بالله لا بالنفس ولا بالحظ، وإن عاديت أو أبغضت بالعلم فاعط العلم حقَّه ولا تتخذ الشيطان وليًا ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبينًا، فإذا أحببت بالعلم فاصحبه معك ما وافق الطاعة، وإن خالف أبغضت بالعلم ما دام مع المخالفة وسرَّك قاعد على بساط الإيمان تحبه، وترد به لمخالفته ظاهر العلم، فتنبه في هذا الباب فإنه موضع المزلة للجهال، واستعن بالله.

الباب السادس

في الخواطر

قال ﷺ: كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل إليها النفس وتلتذ بها الطبيعة فارمي به وإن كان حقًّا، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعدهم أو بالهداة الأئمة المبرئين من الهوى ومتابعته، تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة

عن الهدى وحقائقه، وماذا عليك أن تكون عبدًا لله ولا علم ولا عمل، وحسبك من العلم العلم بالوحدانية، ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة، واعتقاد الحق للجماعة. «قال رجل: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: **«والمرء مع من أحب»**[1] فقال ﷺ: كل خاطر وحركة تمر على القلب ولا تثبت لها فهي برازخ الإيمان ومستودع الفضل والامتنان لعبده، ليفيده بها استقر وثبت من الإحسان ولو تركك وإياها لأدتك إلى محل الخسران بدليل التناجي بالإثم والعدوان ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المجادلة:٩].

وقال ﷺ: قرأت سورة الإخلاص والمعوذتين ذات ليلة فلما انتهيت إلى قوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٤-٥] رأيت بعد ذلك يقال لي: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك أعمالك السيئة، وينسيك ألطافه الحسنة، ويكثر لديك ذات الشمال، ويقلل عندك ذات اليمين؛ ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه إلى سوء الظن بالله ورسوله، فأحذرك هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من الزهاد والعباد وأهل الورع والاجتهاد.

وقال ﷺ: إذا كثر عليك الخواطر والوساوس فقل: سبحان الملك الخلاق ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [إبراهيم:١٩-٢٠].

وقال ﷺ: إن أردت أن تسلم من الوسواس فلا تدبر لغد ولا لبعد غد.

وسئل في وسائل الشيطان لعنه الله! فقال: من الصورة يكلمك ومن المثال يخاطبك ومن الخاطر ينبهك وبالوساوس يحركك وبحق الحقيقة فيه يستولي في حق الكفار.

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٢٢٨٣ ومسلم ٤/ ٢٠٣٤.

الباب السابع
في التوبة

قال ﷺ: لتكن همتك ثلاثًا: التوبة والتقوى والحذر، وقوها بثلاث: الذكر، والاستغفار، والصمت، عبودية لله تعالى وحصن هذه الست بأربع: الحب، والرضا، والزهد، والتوكل.

وقال ﷺ: إذا فاتتك التقوى في الاستقامة فلا تفتك في التوبة والإنابة.

وقال ﷺ: ألق بنفسك على باب الرضا، وانخلع عن عزائمك وإرادتك، حتى عن توبتك بتوبته، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال ﷺ: اللهم إني تبت إليك فأعني وقيدني وقوني وانصرني وثبتني واعصمني واسترني بين خلقك ولا تفضحني عند رسولك، فقيل لي: إنك مشرك، قلت: كيف؟ فقيل: إنك خفت الفضيحة عند الخلق؛ فإنما تخاف أن يفضحك الله بين الناس، وليكن قلبك متعلقًا بالله لا بالناس، وتعلم أن أحدًا منهم لا ينفعك ولا يضرك؛ فما دام قلبك متعلقًا بعلمك وقدرتك وقوتك وجدك واجتهادك، فلست براجٍ لله حتى تيأس من الكل متعلقًا بالرجاء في الله في كل نفس، فتجد الروح والمدد من الله، وإن لم تنل حاجتك؛ ويقطعك بذلك النور عن النظر إلى غيره، ويضيق عليك.

وقال ﷺ: رأيت النبي ﷺ يقول: اهتدى لسنتي من آمن بالله واليوم الآخر، وأعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، وعزم أن لا يعصي الله، وإن عصى استغفر وتاب وأناب، فقلت: فما تاب وأناب؟ فقال: تاب عن معصية الله، وأناب من طاعة الله إلى الله.

الباب الثامن
في الاستغفار

قال ﷺ: أحصن الحصون ما أخبرك عنه في الاستغفار، وحقيقته ألا يكون لك مع غير الله قرار قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

وقال ﷺ: رأيت كأني مع جماعة من الصالحين ووجوه تشبه الخنازير يحملون على الناس حملاً شديدًا فكل من حملوا عليه أسقطوه إلا قليلاً منهم، وكنا نأخذ في حديثهم فإذا برجل يقول لنا: اشكروا الله واستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود. ولو شاء لسلطهم عليكم كما سلط على من كان قبلكم فقال: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ﴾ [القمر:٤٣] فلا براءة فاستغفروه وتوبوا إليه.

وقال ﷺ: هممت بلقاء ملك من الملوك فعارضني ذنبي فكلما استغفرت وتبت ضعفت، فقيل لي: قل اللهم إني أسألك الصلابة في الدين، والعمل باليقين، وأعوذ بك من لقاء ذنبي، فإن ذلك يضعف قلبي، وأشهدني إياك بالإشهاد فهو أقوى لسري ولبي، اللهم استرني بمغفرتك، وارحمني برحمتك، واقدرني بقدرتك، وأيدني بمشيئتك، وعلمني علمًا يوافق علمك، وهب لي حكمًا يصادف حكمك، وأوجدني لسان صدق في عبادك، وكن لي سمعًا وبصرًا ولسانًا وقلبًا وعقلاً ورجلاً ويدًا ومؤيدًا، واعصمني من الخطأ والزيغ والطغيان والكذب في الأقوال والأفعال والعقود والأحوال والظنون والأوهام والبصائر والأبصار والخواطر والأفكار، وفي خفي الهواجس والوسواس، والهمم والفكرة والإرادات والحركات والسكنات، وفيما علمت يا عالم الخفيات، أنت ربي وعلمك حسبي، لا أسأل ولا أفعل ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠] وإنما هي عبودية، يجزى من يشاء من عباده، الدعاء والسؤال والتفصيل والإجمال والأقوال والأفعال والعقود والأحوال وغير ذلك مما يكتسب، ويعطى بلا كسب ولا سؤال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥].

وقال ﷺ: رأيت أناسًا وهم ستة أو سبعة وهم يخوضون في الغيبة وفيهم كبير

لهم يعتمدونه ورجلٌ واقف علي وعليهم جميعًا فقال: لا تكشف الضر ولا تمس به، وأما الخير فما يملكه لنفسه فكيف يملكه لغيره أذن لا يسمع من الله، وقلب يسمع من أعداء الله فهو ممن اتخذ الشياطين أولياء من دون الله: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩] ثم قال: اللهم فرق بينهم وبين ما يعتمدون، وخل بينهم وبين ما يشتهون، وخذهم مما هم فيه يخوضون، ثم قال: أمهلهم رويدًا فعن قريب ترى فيهم ما يوعدون، فاهتزت نفسي لما يوعدون فقال: تأدب بتأديب رسول الله ﷺ بقوله: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٥٥] شغله بما هو أولى به، وقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر:٧٧] عرض له بالوفاة لشغله عن النظر لما يوعدون ثم قال: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢] ثم قال له: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٣-٩٥] إلى قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ثم قال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:١٠] هجر من لا يرى الفعل إلا من الله.

الباب التاسع
في الذكر

قال ﷺ: الأذكار أربعة ذكر تَذْكُرُه، وذكر تَذْكُر به، وذكر يُذَكِّرُك، وذكر تُذْكَرُ به، فالذكر الأول: حظ العوام، وهو الذي تطرد به الغفلة أو ما تخافه من الغفلة، والثاني: تذكر به: أي مذكور إما العذاب، وإما النعيم، وإما القرب، وإما البعد وغير ذلك، وإما الله ﷻ ، والثالث: ذكر يذكرك مذكورات أربعة: الحسنات من الله، والسيئات من قبل النفس ومن قبل العدو، وإن كان الله هو الخالق لها، والرابع: ذكر تذكر به وهو ذكر الله عبده وليس للعبد فيه متعلق وإن كان يجري على لسانه، وهو موضع الفناء بالذكر أو بالمذكور العلي الأعلى فإذا أدخلت فيه صار الذاكر مذكورًا والمذكور ذاكرًا وهو حقيقة ما ينتهي إليه من السلوك والله خير وأبقى، وعليك أيها

الأخ بالذكر الموجب للأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وهو الموجب أيضًا لرضوان الله في الدنيا والآخرة، وتمسك به وداوم عليه، وهو أن تقول: الحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله يا ذا المنن والإحسان من الله، واستغفر الله بإزاء ما من قبل النفس ومن قبل العدو وإن كان من الله خلقًا وإرادة، ولا حول ولا قوة إلا بالله بإزاء عوارض ما يرد من الله عليك وما يصدر إليه منك، وتنبه فإن السر كل ما نفع في الذكر أو في الفكر أو في السكوت أو في الصمت الأعلى واحد من هذه الأربعة الحسنة والسيئة، فقل: الحمد لله واستغفر الله وإن عرض لك عارض من الله أو من نفسك لم يكن بعد خيرًا أو شرًا فلست بقادر على دفعه أو جلبه فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، واجمع بين هذه الأذكار الثلاثة في عموم الأوقات وداوم عليها تجد بركتها إن شاء الله.

وقال ﷺ: اقرع باب الذكر باللجأ والافتقار إلى الله بملازمة الصمت عن الأمثال والأجناس ومراعاة السر عن محادثة النفس في جميع الأنفاس إن أردت الغنى.

وقال ﷺ: حقيقة الذكر ما اطمئن بمعناه القلب، وتجلى في حقائق سحائب أنوار سماء الرب.

وقال ﷺ: هن ثلاث فرِّغ لسانك للذكر، وقلبك للشكر، وبدنك للمتابعة وأنت إذًا من الصالحين.

قال ﷺ: حقيقة الذكر الانقطاع عن الذاكر إلى المذكور وعن كل شيء سواه لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨].

وقال ﷺ: إذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو من مقالك، وانبسطت الجوارح في شهواتك، وامتد باب الفكرة في مصالحك، فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك أو لكمون إرادة النفاق في قلبك، وليس لك طريق إلا التوبة والإصلاح والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦] ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيهًا!.

الباب العاشر

في المناجاة

قال ﷺ: بسط المناجاة أربعة إما أن تناديه من أوصافك وأنت ناظر إلى أوصافه، وإما أن تناديه من أوصافه وأنت ناظر إلى أوصافك، وإما أن تكون فانيًا بأوصافه عن أوصافك، أو تكون فانيًا بأوصافه في أوصافك، أو يجلسك الحق على بساط الحاجات ترمق ببصر قلبك سد الخلل والفاقات، أو تكون ذاكرًا للمنة، ويكون البساط هنا الذكر، أو يكون أجلسك على بساط النعمة، وأوصاف العبد الفقر والفاقة والعجز والضعف والحاجة والمسكنة والجهد والذل.

قال ﷺ: إلهي كرمك أدناني، وفي حضرتك ألقاني، وبشمائل عزك رداني، فلا الملائكة تؤنسني ولا الإنس والجن توحشني.

وقال ﷺ: إلهي مننت عليّ بالتوحيد والإيمان والمحبة والطاعة فأخذت مني الغفلة والشهوة والمعصية، وطرحتني النفس في بحر الظلمة وهي ظلمات، وعبدك مشجون محزون مقرون مهموم مغموم وقد التقمه الهوى وهو ينادي بك نداء المحبوب المعصوم نبيك ورسولك يونس – عليه السلام- ويقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] فاستجب لنا كما استجبت له، وانبذنا بعراء المحبة في محل التفريد والوحدة، وأنبت علينا أشجار الظفر بالجنان، فإنك أنت الله الغفور الرحيم الودود الملك المنان، فليس إلا أنت وحدك لا شريك لك فلست مخلف وعدك من آمن بك إذ قلت: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقال ﷺ: كيف يأمن مع العدل من عرف عدله؟ أم كيف ييأس مع الشر من عرف فضله؟ أم كيف تجهل من بيده تقلب الليل والنهار والقلوب والأبصار والشدة والرخاء والمنع والعطاء؟.

وقال ﷺ: فاتحني مرة فقال: انظر على أي حالة تحب أن تلقاني، فأرجعت الأمر إليه فقلت: أسألك توحيدًا من توحيدك، وإيمانًا من إيمانك، وحبًا من حبك،

وشوقًا إليك بالشوق إليك منك، فقال: هي لك هذه الأربعة بدلائل ثلاث هي: أن تشرب ثلاث شربات من حوض محمد ﷺ واحدة الآن، قال: فشربت، وواحدة في مرضك الذي تموت فيه أو قال: منه، وواحدة عند خروج روحك أو قال نفسك، فإذا مرضت مرضة فشفيت فيها فهي علامة موتك، فبأي يد تريد أن تشرب أبيد عثمان أم بيد الرسول أم بيد الحق سبحانه؟

وقال ﷺ: يا الله يا ولي، يا نصير، يا غني، يا حميد، أعوذ بك من دنيا لا يكون فيها نصب لوجهك، ومن عمل آخره يكون فيه حظ لغيرك، وأعوذ بك من حركة تُعرى عن الاقتداء بسنة رسولك، وعن ضرورة لا تؤدي إلى حقيقة معرفتك، وأعكف بقلبي في حضرتك، واغنني عن رعايتي له برعايتك، إنك على كل شيء قدير، يا عزيز يا حليم إنك قد أيدت من شئت بها شئت كيف شئت على ما شئت فأيدني بنصرك لخدمة أوليائك، ووسع صدري لمعرفتك عند ملاقاة أعدائك، وأجلب لي من رضيت عنه حتى أخضع له وأذل كما جلبته لمحمد رسولك، واصرف عني كيد من سخط عليه كما صرفته عن إبراهيم خليلك، وآتنا أجرنا في الدنيا بالعافية من أسباب النار ومن ظلم كل جان جبار، وبسلامة قلوبنا من جميع الأغيار، وبغض لنا الدنيا وحبب لنا الآخرة، واجعلنا فيها من الصالحين إنك على شيء قدير، يا الله يا عظيم يا سميع يا عليم يا بَر يا رحيم عبدك قد أحاطت به خطيئاته، وأنت العظيم، وندائي كأنه لا يسمع وأنت السميع، وقد عجزت عن سياسة نفسي وأنت العليم وأنى لي وأنت البر الرحيم، كيف يكون ذنبي عظيًا مع عظمتك؟ أم كيف تجيب من لم يسألك وتترك من سألك؟ أم كيف أسوس نفسي بالبر وضعفي لا يعزب عنك؟ أم كيف أرحمها بشيء وخزائن الرحمة بيدك؟ إلهي عظمتك ملأت قلوب أوليائك فصغر لديهم كل شيء، فاملأ قلبي بعظمتك حتى لا يصغر ولا يعظم لديه شيء، واسمع ندائي بخصائص اللطف فإنك السميع لكل شيء، إلهي سترت عني مكاني منك حتى عصيتك وأنا في قبضتك فاجترحت ما اجترحت فكيف بالاعتذار إليك، إلهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك، إن قلت بالمعصية قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاءً فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك؟ أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك؟

فهذان سران من سرك وكلاهما دالان على غيرك فبالسر الجامع الدال عليك لا تدعني لغيرك إنك على كل شيء قدير، يا الله يا فتاح يا غفار يا منعم يا هادي يا ناصر يا عزيز هب لي من نور أسمائك ما أتحقق به حقائق ذاتك، وافتح لي واغفر لي وأنعم علي واهدني وانصرني وأعز بي يا معز يا مذل لا تذلني بتدبير ما لك، ولا تشغلني عنك بما لك فالكل كلك والأمر أمرك والسر سرك عدمي ووجودي، ووجودي عدمي والحق حقك والجعل جعلك ولا إله غيرك وأنت الحق المبين، يا عالم السر وأخفى، يا ذا الكرم والوفاء علمك قد أحاط بعبدك وقد شقي في طلبك فكيف لا يشقى من طلب غيرك؟ تلطفت بي حتى علمت أن طلبي لك جهل وطلبي لغيرك كفر، فأجرني من الجهل واعصمني من الكفر، يا قريب أنت القريب وأنا البعيد قربك أيأسني من غيرك وبعدي منك ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو طلبي بطلبك، يا قوي يا عزيز إنك على كل شيء قدير.

وقال ﷺ: معصيتي قطعت أملي من كل شيء إلا منك، يا عزيز - والحمد لله - إلهي إن غلبني شيء غلبته بنور وجهك، والحمد لله.

وقال ﷺ: يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن بالسر المصون في باطن أسمائك هب لي سرًّا يملأ باطني بحقائق ربوبيتك، واغفر لي الوصفين، وهب لي تقواك في الأمرين، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

الباب الحادي عشر

في المراقبة

قال ﷺ: عليك أيها السالك بطريق الآخرة بتحصيل ما أمرت به في ظاهرك، فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة وخذ بتخليص باطنك حتى لا يبقى فيه شيء مما عنه نهاك، وأعطي الجد حقه، وأقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك فما ورد عليك من خطرات قصدك عن مرادك فاعلم أولاً قرب ربك منك علمًا تباشر قلبك بتكرار النظر في جلب منافعك ودفع مضارك، وانظر هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض؟ وإن من الأرض نفسك ومن السماء قلبك، فإذا نزل من السماء إلى الأرض شيء من ذا الذي يصرفه عنك غير

الله: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤] فأعط المعية حقها بلزوم العبودية له في أحكامه ودع عنك منازعة الربوبية في أفعاله من ينازعه يغلب: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨] نعم الحق ما أقول لك ما نفس من أنفاسك إلا والله متوليه مستسلمًا كنت أو منازعًا؛ لأنك تريد الاستسلام في وقت وتأبى إلا النزاع، وتريد النزاع في وقت آخر وتأبى إلا الاستسلام، فدلت هذه على ربوبيته في جميع أفعاله ولا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحصيل حقائقه، فإذا كان الأمر بهذا الوصف فاعط الأدب حقه فيما يرد عليك بأن لا تشهد لشيء منك أولية إلا بأوليته، ولا آخر إلا بآخريته، ولا ظاهرًا إلا بظاهريته، ولا باطنًا إلا بباطنيته، فإن تنبهت لمؤول الأول نظرت لما تأول فيما تأوله، فإن صدر عليك خاطر من محبوب يوافق النفس أو مكروه لا يلائمها مما لا يحرمه الشرع فانظر لما يخلقه الله فيك بآثار ما يخطر ببالك، فإن وجدت تنبيهًا على الله فعليك بالتحقيق، فذلك أدب الوقت عليك، ولا ترجع إلى غيره، فإن لم تجد السبيل إلى التحقيق به فعرش بين يديه فهو أدب الوقت عليك، ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك، فإن لم يكن ذلك منك فعليك بالتوكل والرضا والتسليم، فإن لم تجد السبيل إليه فعليك بالدعاء في جلب المنافع ودفع المضار بشرط الاستسلام والتفويض، وأحذرك من الاختيار فإنه شر عند ذوي البصائر فإذًا هي أربعة آداب: أدب التحقيق، وأدب التعريش، وأدب التوكل، وأدب الدعاء، فمن تحقق به حفظ منه، ومن عرش عنده كفي من غيره، ومن توكل عليه كفي من اختيار نفسه باختيار ربه، ومن دعاه بشرط الإقبال والمحبة أجابه إن شاء فيما يصلح له أو منعه إن شاء فيما لا يصلح له، ولكل أدب بساط.

البساط الأول: بساط التحقيق، إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته، فكن هنالك بسرك وحرام عليك أن تشهد غيره .

البساط الثاني: بساط التعريش، إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف عن أفعاله فعرش هناك بسرك، وحرام عليك أن تشهد غير صفاته شاهدًا أو مشهودًا، وفي الأول فناء الشاهد وبقاء المشهود.

البساط الثالث: بساط التوكل إذا ورد عليك خاطر من غيره ليس مما تقدم ذكره من محبوب أو مكروه وكشف لك عن عيوبك جلست على بساط محبته متوكلاً عليه راضيًا بما يبدو لك من آثار فعله من أنوار حجبه.

البساط الرابع: بساط الدعاء، فإن ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن فقرك إليه فقد دلك على غناك، فاتخذ الفقر بساطًا فاحذر أن تنزل عن هذه الدرجة إلى غيرها فتقع في مكر الله من حيث لا تعلم، وأقل ما يكون منك إذا تنزلت عنها أن ترجع إلى نفسك مدبرًا لها ومختارًا وأشرقت أحوالك ولا حال لك أن تحملها على الجد والاجتهاد إما في ظاهرك أو في باطنك طمعًا أن تدفع بذلك عن نفسك، وما أسوأ حالك إذا كابدت أن تدفع عنها ما أراد الله أن يدفعه عنك فكيف إذا نازعته فيما لم يرد دفعه عنك، وأقل ما في هذا الباب دعاوى الشرك فإنك قد غلبت وما غلبت فإن كنت غالبًا فكن حيث شئت ولن تكون حيث شئت أبدًا فدل اجتهادك على عظيم جهلك بأفعال الله وما أقبح عابدًا جاهلاً أو عالمًا فاسقًا، فما أدري بأي الموضعين أصفك بالجهل أم بالفسق أم بهما جميعًا! نعوذ بالله من تعطيل النفس عن المجاهدات، ومن خلو القلب عن المشاهدات، إذ التعطيل ينفي الشرع، والخلو ينفي التوحيد، وحاكم الشرع قد جاء بهما جمعًا، فأدرج بهما جميعًا عن منازعة ربك تكن موحدًا، واعمل بأركان الشرع تكن سُنيًّا، واجمع بينهما بعين التأليف تكن محققًا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] ثم إن خطر لك أيضًا في مراقبتك خاطر من مكروه في الشرع أو محبوب فيه مما قد سلف منك، فانظر ما تذكر به وتنبه، وإن ذكرت الله فأدبك بتوحيده على بساط تفريده، فإن لم ترد بك رؤية فضله فيما حلاَّك به من لطائف رحمته وزينك من طاعته بتخصيص محبته على بساط مودته، فإن نزلت عن هذه الدرجة ولم تكن هناك فأدبك رؤية فضله؛ إذ سترك فيما اقترفت من معصيته ولم يكشف سترك لأحد من خلقه، فإن صُرفت عن هذا الباب وذكرت معصيتك ولم تذكر ما تقدم من الآداب الثلاثة فقم بأدب الدعاء في التوبة منها أو من مثلها بطلب المغفرة لها بحسب ما يطلبه الجاني المحاط به، هذا في جانب المكروه في الشرع، وأما إذا ورد عليك خاطر من طاعته تقدمت وذكرت من أفادك، فلا تقرر عينك بها بل بمنشئها، فإذا قرت عينك بغير فقد سقطت عن درجة التحقيق، فإن لم تكن في هذه المنزلة فكن في التي تليها وهو أن تشهد عظم فضل الله

تعالى أن جعلك من أهلها، وميزانها أن ترزق خيرًا منها بل من علامتها الدالة على صحتها، وإن لم تتبوأها وبُوئت فيها دونها فأدبك تدقيق النظر في تلك الطاعة هل هي هي وأنت سالم من المطالبة فيها، أم هي بعكس ذلك وأنت مأخوذ بها، نعوذ بالله من حسنات تعود سيئات: ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧] فإن نزلت عن هذه الدرجة إلى غيرها فأدبك طلب النجاة منها بحسنها وسيئها، وليكن هروبك من حسناتك أكثر من هروبك من سيئاتك إن أردت أن تكون من الصالحين .

وقال ﷺ: إذا أردت أن يكون لك نصيبٌ مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة إلا من يدلك على الله بإشارة صادقة أو بأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة، وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئًا على ذلك، بل كن في ذلك عبدًا لله أمرك أن ترفض عدوه فإن أتيت بهاتين الخصلتين: الإعراض عن الدنيا، والزهد في الناس، فأقم مع الله بالمراقبة، والتزم التوبة بالرعاية، والاستغفار بالإنابة، والخضوع للأحكام بالاستقامة، وتفسير هذه الأربعة أن تكون عبدًا لله فيما تأتي وتذر، فتراقب قلبك ألا يرى في المملكة شيئًا لغيره، فإن أبيت بها نادتك هواتف الحق بأنوار العز: إنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله بالمراقبة وأنت تسمع: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب:٥٢] فهنالك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت به أنه قربة فتلزم بالتوبة والرعاية لقلبك أن لا تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت عنه، وإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضًا من قبل الحق، أليست التوبة منه بدء والإنابة تتبعها منه؟ واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهنالك تنظر أوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ في الاستغفار والإنابة، والاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه، فإن كنت بهذه الصفة - أعني الاستغفار والإنابة - ناداك من قريب اخضع لأحكامي، ودع عنك منازعتي، واستقم مع إرادتي برفض إرادتك، وإنما هي ربوبية تولت عبودية، فكن ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل:٧٥] فمتى رأيت منك قدرة وكلتك إليها وأنا بكل شيء عليم، وإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هناك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين .

الباب الثاني عشر
في آداب القبض والبسط

قال ﷺ: أقل ما يخلو العبد منهما وهما متعاقبان كتعاقب الليل والنهار، والحق يقتضي منك العبودية فيهما من كان وقته القبض فلا يخلو أن يعلم سببه أو لا يعلمه، وأسباب القبض ثلاثة: ذنب أحدثته، أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك، أو ظالم يؤذيك في نفسك أو في عرضك أو ينسبك لغير دين وغير ذلك، فإذا ورد عليك القبض من أحد هذه الأسباب فالعبودية أن ترجع إلى العلم مستعملاً له كما أمرك الله، أما في الذنب فالتوبة والإنابة وطلب الإقالة، وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فالتسليم والرضا والاحتساب، وأما فيما يؤذيك من ظالم فالصبر والاحتمال، واحذر أن تظلم نفسك فتجتمع عليك ظلمات ظلم غيرك، وظلمك لنفسك، فإن فعلت ما التزمت من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من النور والرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك، وما أحسن حالك إذا رحم الله بك من ظلمك فتلك رحمة الصديقين الرحماء، فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين، وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببًا فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض أشبه شيء بالليل، والبسط أشبه شيء بالنهار، فإذا ورد عليك القبض بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون عن ثلاثة أشياء: عن الأقوال، والحركات، والإرادات، فإن فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك أو يبدو نجم تهتدي به أو قمر تستضيء به، والنجوم نجوم العلم، والقمر قمر التوحيد، والشمس شمس المعرفة، وإن تحركت في ظلمات ليلك فقلما تسلم من الهلاك واعتبر قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧٣] فهذا حكم العبودية في القبضتين جميعًا، وأما من كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببًا أو لا يعلمه فالأسباب ثلاثة: السبب الأول زيادة بالطاعة أو نوال من المطاع كالعلم، والمعرفة، والسبب الثاني: زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة، والسبب الثالث: بالمدح والثناء من الناس وإقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك، فإذا ورد عليك البسط من هذه الأسباب فالعبودية تقتضي منك أن ترى النعمة والمنة من الله

عليك، واحذر أن ترى شيئًا من ذلك من نفسك وحضها أن تلازم الخوف خوف السلب مما به أنعم عليك فتكون ممقوتًا، هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى، وأما الزيادة من الدنيا فهي نعمة أيضًا كما الأولى وخف مما تظن من آفاتها، وأما مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر الله عليك، وخف من الله أن يظهر عليك ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس إليك، فهذه آداب القبض والبسط في العبودية جميعًا، وأما البسط الذي لا يعلم له سبب فحق العبودية فيه ترك السؤال، والإذلال، والصولة على النساء والرجال اللهم إلا أن تقول: رب سلم سلم إلى المات فهذه هذه إن عقلت والسلام .

الباب الثالث عشر

في آداب الفقد والوجد

قال ﷺ: اعلم أن الفقد والوجد يتعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار، ومدار هذه الأمور على أربعة: كن شاكرًا لأنعم الله إذا وجدت، وراضيًا عن الله إذا فقدت، وباذلاً للفضل إذا رزقت، ولا تحزن على الشكر فيحزن عليك، واحزن بالأمانة إذا أردت، واسلم وجهك إلى الله في كل أمر قصدت: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:٢٠] الآية ولا تكن عابدًا مكابدًا ولا زاهدًا معاندًا ولا عاصيًا متمردًا ولا مفتريًا جاحدًا، فإن حظيت بالأربع الأول فقد دخلت في ثناء الله ﷻ لقوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١] .

باب

في الاقتداء

قال ﷺ: حقيقة القدوة أن يكون يأسه ممن يحبه أشد من يأسه ممن يبغضه، وقال ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما حقيقة المتابعة؟ فقال: رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء.

قال ﷺ: كل شيخ لم تصلك الفوائد منه من وراء الحجاب فليس بشيخ.

وقال ﷺ: الشيخ من دلك على راحتك لا من دلك على تعبك.

وقال ﷺ: ليس الرجل الكامل من حيي في نفسه، إنما الرجل الكامل من حيي به غيره.

وقال ﷺ: ليس الرجل الكامل من سقط الخوف عنه في نفسه، إنما الرجل الكامل من سقط الخوف عن غيره قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس:٦٢].

وقال ﷺ: العزيز من الناس من رسخ في علم الهوية، وتصرف بحكم المشيئة لا بالهوى والشهوة والطبيعة.

وقال ﷺ: عشرة وأي عشرة فاحتفظ بهن فأول ذلك: إذا رأيت رجلاً يدعي حالة مع الله ﷻ يخرجه عن أمر الشرع فلا تقربن منه، وإذا رأيت رجلاً يركن إلى غير أبناء جنسه فلا تقربن منه، وإذا رأيت رجلاً يسكن إلى الرياسة والتعظيم فلا تقربن منه ولا تركن إلى رفقته فإن رفقته تقسي قلبك أربعين صباحًا، وإذا رأيت رجلاً يستغني بعلمه فلا تأمن جهله، وإذا رأيت رجلاً يرضى عن نفسه ويسكن إلى وقته فاتهمه في دينه واحذره أشد الحذر، وإذا رأيت مريدًا يسمع القصائد ويميل إلى الرقة فلا ترجون خيره، وإذا رأيت فقيرًا لا يحضر عند السماع فاعلم أنه قد حرم بركات ذلك بتشويش باطنه وتبديد فهمه.

وقال ﷺ: علامة من اتصل قلبه بالله ورود الفوائد عند عظيم الشدائد دليله قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩].

وقال ﷺ: الحكيم من علم المبتدأ والمنتهى وحكم على الغيب بما حكمه الله.

وقال ﷺ: من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعي.

وقال ﷺ: ثلاثة لا تدعي وواحدة لا تزدري: اقتداء بنوح النبي ﷺ، ومحمد العربي ﷺ ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:٣١] .

الباب الرابع عشر
في آداب المجالسة

قال ﷺ: مجالسة الأكابر بأربعة أوصاف: بالتخلي عن أضدادهم، والميل، والمحبة، والتخصيص لهم، الثاني: لقاء المسلم بين أيديهم، وترك ما تهوى لما يهوون، الثالث: إيثار أقوالهم وأفعالهم وترك التجسس على عقائدهم، الرابع: الهمة بما تعلقت به هممهم بشرط الموافقة لهم في أفعالهم .

وقال ﷺ: إذا جلست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة الروايات الصحيحة إما أن تفيدهم أو تستفيد منهم وذلك غاية النصح معهم، وإذا جلست العباد والزهاد فاجلس معهم على بساط الزهد والعبادة وحل لهم ما استمرروه، وسهل عليهم ما استوعروه، وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه، وإذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم ولا تنتسب لما تعمل تظفر بالعلم المكنون وببصائر آخرها غير ممنون .

الباب الخامس عشر
في الأدب

قال ﷺ: أدب الحضرة ثلاثة دوام النظر، وإلقاء السمع، والتوطين لما يرد عليك من الحكم.

وقال ﷺ: أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد منها فاجعله والتراب سواء: الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والإنصاف من النفس، وترك الانتصاف لها، وأربعة آداب إذا خلا الفقير المنتسب منها فلا تعبأن به وإن كان أحدهم أعلم البرية: مجانبة الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة ذوي الفاقة، ومواظبة الخمس في الجماعة.

الباب السادس عشر
في آداب السؤال

قال ﷺ: منازل السائلين ثلاثة: سائل يسأل عن التصديق بتحقيق القرب، وسائل يسأل عن عين التحقيق لرفع الحجاب، وسائل يسأل عن البقاء به بالفناء عن نفسه.

وقال ﷺ: إذا سألت فاسأل الله فإن أعطاك فاشكره، وإن منعك فارض عنه، وإياك وكزازة النفس وسوء الظن وغلبة الشهوة فتحرم المعرفة والمحبة والرضا والمغفرة، وتحجب عن الله، وتطرد عن المحل الأعلى إلى أسفل من ذلك ولست تدري أين ترميك من حدود سافلين.

وقال ﷺ وقد أراد أن يمشي لبعض الظلمة في الدفع عن رجل مسلم من الصالحين: اللهم اجعل مشيي إليهم تواضعًا لوجهك، وابتغاءً لفضلك ورضوانك،

ونصرة لك ولرسولك، ورِيني بزينة الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، وخصني بالمحبة والإيثار ودفع الحاجة من الصدر في الليل والنهار، وقني شح نفسي، واجعلني من المفلحين ﴿ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال ﷺ: إذا دخلت على جبار أو ظالم أو متكبر فقل: إني عذت لربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

وقال ﷺ: أفضل ما يسأل العبد من الله خيرات الدين، ففي خيرات الدين خيرات الآخرة، وفي خيرات الآخرة خيرات الدنيا، وفي خيرات الدنيا ظهور خصائص الأولياء، وخصائص الأولياء أربعة أوصاف: العبودية، ونعوت الربوبية، والإشراف على ما كان ويكون، والدخول على الله في كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك، فيكسى في كل مرة حللاً من الأنوار والتقريب.

وقال ﷺ: إذا خوفك أحد من الجن والإنس فقل: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وقال ﷺ: إذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله قبل أن ترفعها إليهم فإن قضاها لك منهم فاشكره واشكرهم، وإن لم يقضها لك منهم فارض عن الله ولا تنسب إليهم ولا تذمّنَّ أحدًا إلا بما ذمه الله، ولا تمدحنَّ أحدًا إلا بما مدحه الله، وإلا فأمسك فهو أسلم لك واهبًا للرضا من الله عنك، واعبد الله في اليقين ترفع في الدرجات العلى وإن قل لك عملك .

وقال ﷺ: أحسن الناس عند الله منزلة من جعل دينه سببًا لقضاء حوائجه.

وقال ﷺ: إذا كانت لك حاجة أردت أن تقضى حاجتك، فأثبت الملك والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة لله تعالى، واجعل فقرك إليه وحاجتك عنده، واحذر أن يمتد بصر قلبك إلى غير الله فتحجب وتفرح وتحزن وتخاف وترجو وتذل، والمؤمن لا يذل نفسه، وقل: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

الباب السابع عشر
في الاستخارة

قال ﷺ: لا يستخار إلا أمين، وكم من عبد أمين على الأموال غير أمين على الفروج، رب أمين على الفروج لا يكون أمينًا على الأموال، وربَّ عبد يكون أمينًا على الأموال أمينًا على الفروج غير أمين على الدين، والأمين على الدين هو الآخذ عن الله ببصيرة النفس والإشراف على الأحوال كلها وحوى الأمور في الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ: سألني بعض الأصحاب وأعز الناس عليّ أن أستخير الله له في خير يأمله ففعلت في أول ليلة طلب مني ذلك فرأيت بشارات من رحمة الله ترد عليه من غير بيان فيما سألت، فسألني في الليلة الثانية كذلك فرأيت مثل ذلك، ثم سألني في اليوم الثالث فلجأت إلى الله فيما أراد مني فرأيت أستاذي رحمه الله فقال لي: عبد يخالط أهل الآخرة ويعول عليهم، ويخالط أهل الدنيا وينفر طبعه عنهم، إن ضيق عليه لجأ إلى الله، وإن أنعم عليه أخذ في الشكر فما ظنك به عند الله أفلا تعقلون احمله على فواضل الأعمال يبارك له فيما يفني ويدخر، ويدخر له ما يبقى، وسيجزي الله الشاكرين .

الباب الثامن عشر
في النية

قال ﷺ: حقيقة النية عدم غير المنوي عند الدخول فيه وكمالها استصحاب ذلك إلى التمام.

وقال في قوله ﷺ: « **إنما الأعمال بالنيات** »[1] فقال: إن للنية محلاً وتوقيتًا وكيفية ومعنى فنسألك الصفاء لمحلاتها، والتوفيق في أوقاتها، والعصمة في كيفياتها، والتحقيق لمعانيها، ونسألك صحة العقد، وحسن القصد، وإرادة لوجه الله تعظيمًا لحق الربوبية وإلزامًا للنفس وصف العبودية، فمحل النية القلب ووقتها عند افتتاح الأعمال وكيفياتها ارتباط القلب مع الجوارح، ومعنى النية أربعة أشياء: القصد،

---

(١) رواه البخاري ١/ ٣

والجزم، والإرادة، والمشيئة، كل ذلك بمعنى واحد، والنية لها صورتان: توجه العمل بحسن التيقظ فيه، والصورة الثانية: الإخلاص بالعمل لله تعالى، وابتغاء ما عنده من الأجر، وإرادة وجه الله تعالى.

وقال ﷺ في قوله ﷺ: «**من حسنت نيته صلح عمله**»(١): فحسِّن النية فيما بينك وبين الله بتوجه القلب بالتعظيم لله أو التعظيم لأمر الله أو التعظيم لما أمر به الله، وفيما بينك وبين العباد توجيه النفوس بالنصيحة لهم مع القيام بالحقوق وترك العقوق ونبذ العوارض مع الصبر لله، والتوكل على الله.

الباب التاسع عشر
في الأعمال

قال ﷺ: فمدار الأعمال على أربعة أشياء: المحبة، والإخلاص، والحياء، والإيمان، فالمحبة بالخوف، والإخلاص بالعلم، والحياء بالتعظيم، والإيمان بالصدق.

وقال: من أفضل الأعمال العزائم، واقتضاء الوفاء.

وسئل ﷺ عن العزائم! فقال: من غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه لسرعة المراد وكثرته واختلاف أنواعه، وأي وقفة تسعه حتى يحل أو يعقد أو يعزم أو ينوي شيئًا من أموره مع تبدد إرادته واضمحلال صفاته أين أنت من نور من نظر واتسع نظره بنور ربه ولم يشغله المنظور إليه عمن نظر به فقال: فقال: «**ما من شيء كان أو يكون إلا وقد أريته**»(٢).

وقال ﷺ: من شرط الأعمال الوقفة والنظرة والنفرة والإخلاص والعمل والثبوت والظفر بالشهادة ودخول الجنة وتقسيم الغنائم.

وقال ﷺ: يحكي عن أستاذه ﷺ أنه قال: أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة:

---

(١) لم أقف على من خرجه، وهو من الأحاديث الكشفية، وذكره أبو الأمداد الوفائي في «تعطير الأنفاس في مناقب أبي الحسن وتلميذه المرسي أبي العباس» [تحت قيد الطبع بتحقيقنا].

(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٦٥٧)، وابن ماجه (١/ ٤١٣)، وأحمد (٣/ ٤٢٢).

المحبة لله، والرضا بقضاء الله، والزهد في الدنيا، والتوكل على الله، والقيام بفرائض الله، والاجتناب لمحارم الله، والصمت عما لا يعني، والورع عن كل شيء يكفي.

وقال ﷺ: اللهم إني أسألك حسن اللب، ودوام الذكر، والفكر، واللجأ، والافتقار إليك، والدعاء لك، والاستجابة منك، والثقة بك، والتوكل عليك، والزهد الواقع على البرد القاطع، والمحبة، والرضا، ثم قال: هذه أعمال الصديقين في بداية أمورهم، وقال: كنت متنسكًا ببعض الجبال فألقي في سري: من سكن خوف الفقر في قلبه قل ما يرفع له عمل، فضقت بذلك ذرعًا وأقمت على ذلك عامًا، فرأيت النبي ﷺ يقول لي: يا مبارك يا مبارك أهلكت نفسك فرق بين سكن وخطر فالمؤمن يخطر ولا يسكن، قال: فسكن ما بي.

وقال ﷺ: إذا استحسنت شيئًا من أحوالك الظاهرة أو الباطنة فقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

الباب العشرون
في الأوراد

قال ﷺ: أوراد الصديقين عشرون: الصوم، والصلاة، والذكر، والتلاوة، وحفظ الجوارح، وذم النفس عن الشهوات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أصول أربعة: الزهد في الدنيا، والتوكل على الله، والرضا بقضاء الله، والحب الصافي على مبان أربعة: الإيمان، والتوحيد، وصدق النية، وعلو الهمة، ومن لم يكن فيه أربع خصال فلا ترجو له فلاحًا: العلم، والورع، والخشية لله، والتواضع لعباد الله .

وقال يحكي عن أستاذه ﷺ أنه قال: عبادة الصديقين عشرون: كلوا، واشربوا، واكتسبوا، واركبوا، وانكحوا، واسكنوا، وضعوا كل شيء حيث أمركم الله ولا تسرفوا، واعبدوا الله واشكروه، وعليكم بكف الأذى، وحمل الأذى، وبذل الندى فإنها نصف العقل، والنصف الثاني: أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والرضا بالقضاء، وإن عبادة الله التفكر في أمر الله، والتفقه في دين الله، وأس العبادة الزهد في الدنيا، ورأسها التوكل على الله فهذه عبادة الأصحاء من المؤمنين، وإن كنتم مرضى فاستشفوا واسترقوا بالعلماء، واختاروا منهم الأتقياء الهداة المتوكلين على الله تعالى .

وقال ﷺ: سألت أستاذي - رحمه الله - عن وِرد المحققين؟ فقال: عليك بإسقاط الهوى وبمحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبًّا لغير محبوبه.

وقال ﷺ: الورد رد النفس بالحق عن الباطل في عموم الأوقات.

وقال ﷺ: يحكي عن رجل سأل أستاذه فقال: يا سيدي وظف عليّ وظائف وأورادًا، قال: فغضب منه الأستاذ وقال له: أرسول أنا وأوجب الواجبات، الفرائض معلومة، والمعاصي مشهورة فكن للفرائض حافظًا، وللمعاصي رافضًا، واحفظ قلبك من إرداة الدنيا، وحب النساء، وحب الجاه، وإيثار الشهوات واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك إذ أخرج لك مخرج الرضا فكن لله فيه شاكرًا، وإذ أخرج لك مخرج السخط فكن عنه صابرًا، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، وأصل جامع لأنواع الكرامات، وحصون ذلك كله أربعة: صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، وصحبة العلم، ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح.

وقال ﷺ يحكي عن أستاذه أنه سمعه يقول لرجل استأذنه في المجاهدة لنفسه أجابه بقوله تعالى ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التوبة: ٤٤].

الباب الحادي والعشرون

في العُبّاد والزُّهاد

قال ﷺ: العباد بنوا أمورهم على عشرة أصول: على الصوم، والصلاة، والذكر، والتلاوة، والدعاء، والاستغفار، والتضرع، والبكاء، واعتزال الناس، وتحصيل هذا القوت من وجه حلال، وبساطهم الذكر والزاهد يزيد عليهم بأربعة أوصاف: بالزهد في الدنيا عمومًا، وفي الناس خصوصًا، ويكشف غيب الملكوت، والتخير للأحوال ومقامات الرجال، وبساطهم الفكرة، وأما الأولياء فهم درجات يبسط لهم في العلم، والمعرفة، والنور، والمحبة، والتوحيد، واليقين، وكشف الغيب، والرسوخ فيه، والتحقيق بالفناء بإثبات أنوار البقاء وبساطهم المحبة الفرعية، وأما الصديقون فلهم في بدايتهم خمسة أصول طي الوجود عن أسرارهم، وكشف أمر الدارين لأرواحهم، ومراقبة القلوب، ومراعاة العقول، وخفض النفوس، وأما

الخمس التي في نهايتهم التحقيق بالمحبة، واليقين، والتعبد، والثبات في الخلة، والاتصاف بالبقاء، وبساطهم المحبة الأصلية، وفائدة التفصيل أن يعطي المقتدى به كل واحد من أتباعه على قدر حاله ومقامه فيما أنزله الله فيه.

الباب الثاني والعشرون

في الطاعة

قال ﷺ: لا تؤخر طاعة وقت لوقت فتعاقب بفواتها أو بفوات غيرها أو مثلها جزاءً بما كفر من ذلك الوقت، فإن لكل وقت سهمًا في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فقلت في نفسي: قد أخر الصديق الوتر إلى آخر الليل فإذا عليّ بصوت في النوم تلك عادة جارية وسنة ثابتة ألزمه الله إياها مع المحافظة عليها، وأن لك بها مع الميل إلى الراحات، والتمتع بالشهوات، والدخول في أنواع المخالفات، والغفلة عن المشاهدات هيهات هيهات هيهات فقلت في نفسي: أتدبير أم رفض؟ فقال: بل تدبير يقتضي الأدب والتنبيه لما أغفل وهي وصية الله إليك ووصيته منك لعباده الصالحين، فتنبه لها ولا تكن من الغافلين.

وقال ﷺ يحكي عن أستاذه ﷺ أنه قال: أجمل الطاعة أن يدخلك عنده ويرخي عليك الحجاب.

وقال ﷺ: قيل لي مرة ما الذي استفدت من طاعتي وما الذي استفدت من معصيتي؟ قلت: استفدت من طاعتك العلم الزائد، والنور النافذ، والمحبة، واستفدت من المعصية الغم، والحزن، والخوف، والرجاء.

وقال ﷺ: ورد في بعض الأخبار: مَن أطاعني في كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته في كل شيء، بأن أتجلَّى له في كل شيء حتى يراني كأني كل شيء.

وقال ﷺ: هذه الطاعة والمشاهدة في حق العوام من الصالحين، وأما الخواص من الصديقين فطاعتهم باليأس منهم بإقبالهم على كل شيء بحسن إرادة مولاهم في كل شيء، فكأنه يقول: من أطاعني بكل شيء بإقباله على كل شيء بحسن إرادتي في كل شيء أطعته في كل شيء بأن أتجلى له في كل شيء حتى يراني أقرب إليه من كل شيء.

وقال ﷺ: الصلاة صلة بين العبد وربه، فقال: علامة الوصلة انصباب الرحمة بشواهد المحبة، وشواهد المحبة رفع الحجاب والتلذذ بالخطاب.

وقال ﷺ: اللذة وقوع القلب على الشيء الملتذ به معنًا وإيمانًا لقلب مصورًا .

وقال ﷺ: عليك بالمطهَّرات الخمس في الأقوال، والمطهرات الخمس في الأفعال والتبرِّي من الحول والقوة في جميع الأحوال، وغص بعقلك إلى المعاني القائمة بالقلب، واخرج عنها وعنه إلى الرب، واحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده أمامك، واعبد الله بها تكن من الشاكرين.

فالمطهرات الخمس في القول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والمطهرات في الأفعال: الصلوات الخمس، والتبرِّي من الحول والقوة هي قولك:

«لا حول ولا قوة إلا بالله».

الباب الثالث و العشرون

في العِزَّة

قال ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨] فعزة المؤمن أن يمنعه الله من التعبد للنفس والهوى والشيطان والدنيا أو لشيء من المكونات في الغيب والشهادة والدنيا والآخرة، والمنافق لا يعلم العز إلا بالأسباب والتعبد للأرباب ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل:٦٣] ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٣].

وقال ﷺ في قول بعضهم: من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا هذا يومين قال له القائل: كيف لي بذلك؟ قال: فرق الأصنام عن قلبك، وأرح من الدنيا بدنك، ثم كن كيف شئت فإن الله لم يدعك فإن جاءك شيء من الدنيا بعد فلا تنظر إليه بعين الرغبة، ولا تصحبه بالرهبة، ولا تجلس معه إلا بالواجب العلمي في صرفه أو إمساكه، فإن طلبت شيئًا منها يومًا ما فاشهد طلب الله لك في طلبه له فإنك مطلوب

بالطلب، فإن خرج لك الطلب من مخرج الرضا فادخل ولا تعلق قلبك بالظفر به ولا بد فإنك لا تدري أتصل إليه أم لا؟ وإن وصلت إليه فلست تدري ألك هو أم لغيرك؟ فإن كان لك فلست تدري أفيه الخير أم فيه الشر؟ فإن كان لغيرك فليس تعلم هل هو لحبيبك أم لعدوك؟ وعلى الجملة كيف يسكن القلب إلى موهوم تتصور فيه الوجوه كلها وأكثر من ذلك فاطلبه وأنت متعلق بالله، وناظر إليه واستعمل الشكر إذا ظفرت به والصبر والرضا إذا لم تظفر به، والحمد لله والثناء على الله أجمل لأنه لم يمنعك عن بخل وإنما منعك نظرًا لك فإذا منعك فقد أعطاك ولكن لا يفقه العطاء في المنع إلا الصديقون، وإن خرج لك الطلب مخرج البسط بدلالة مخالفة العلم أو ما يكاد فالجأ إلى الله وفر إليه حتى يكون هو الذي يخلصك ويفعل الله ما يشاء والعاقبة للمتقين.

الباب الرابع والعشرون

في التواضع

قال ﷺ: ويقيم بالسعادة عبد عرف الحق فتواضع وإن علم ما علم وتكبر على أهله وإن عمل ما عمل فقال رحمه الله: خرجت إلى بستان مع أصحاب لي بمدينة تونس ثم عدت إلى المدينة، وكنا ركبانًا على الحمير فلما وصلنا قريبًا من المدينة نزلوا وكانت طين وقالوا: يا سيدي انزل هنا، وقلت: ولم؟ فقالوا: هذه المدينة ونستحي أن ندخلها على الحمير، قال: فثنيت رجلي فأردت موافقتهم فإذا النداء عليّ أن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع ولكن يعذب على تعب يصحبه التكبر.

الباب الخامس والعشرون

في التقوى

قال ﷺ: التقوى كسوة أنواره وشهود الإحاطة بصفاته والقيام به بذاته ذلك خير ذلك من آيات الله.

قال ﷺ: اتخذ التقوى وطنًا ولا يضرك مزج النفس ما لم تصر على الذنب، أو ترضى بالعيب، أو تسقط منك الخشية في العيب

وقال ﷺ: حقيقة الصدق والتقوى وجدان ما تشاء من المولى، قال الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ﴾ [الزمر:٣٣-٣٤].

الباب السادس والعشرون

في الورع

قال ﷺ: ليست هذه الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ولا ببقبقة الصناعة، وإنما هو بالصبر واليقين في الهداية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة:٢٤-٢٥] وهذا الثغر ثغر كريم لرجل كريم بخمس خصال الصبر والتقوى والورع واليقين والمعرفة والصبر إذا أوذي، والتقوى أن لا تؤذي، والورع فيما يخرج وما يدخل من ها هنا وأشار إلى فيه وفي القلب أن يلج فيه غير ما يحب الله ورسوله واليقين في الرزق والمعرفة بالحق التي لا بدل معها لأحد من الخلق: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٧-١٢٨].

وسئل ﷺ عن الورع! فقال: الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه، فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله، فالقول بالله والعمل لله وبالله على النية الواضحة والبصيرة الفائقة وهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون، ولا يختارون، ولا يريدون، ولا يتفكرون، ولا ينظرون، ولا ينطقون، ولا يبطشون، ولا يمشون، ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجمعون في عين الجمع، ولا يفترقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الأدنى فالله تورعهم عن ذلك ثوابًا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم، ومن لم يكن لعلمه وعمله ميزان وهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميزانه التقزز لخلقه والاستكبار على مثله والصولة بعلمه والتأله على الله بعلمه فهذا هو الخسران والعياذ بالله العظيم من ذلك، والأكياس يتورعون عن هذا الورع

ويستعيذون لله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارًا إلى ربه وتواضعًا فهو هالك فسبحان من قطع كثيرًا من أهل الصلاح بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع المفسدين بفسادهم عن موجدهم ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦] .

وقال ﷺ: أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين، وأقم عليهم الحدود، واهجرهم لهم رحمة بهم لا تقززًا بهم، ولا تقتدي بمن يتورع عما تناولته أيدي المؤمنين ولا يتورع مما مسته أيدي الكافرين، وقد علم ما نال الحجر من مس أيدي المشركين له فاسود لذلك.

الباب السابع والعشرون

في الإخلاص

قال ﷺ: الإخلاص نور من الله تعالى استودعه قلب عبده المؤمن فقطعه به عن غيره فذلك هو أصل الإخلاص الذي لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله، ويتشعب عنه أربع إرادات: إرادة الإخلاص في العمل على التعظيم لله، وإرادة الإخلاص لأمر الله، وإرادة الإخلاص لقدر الآخرة والثواب، وإرادة الإخلاص في تصفية العمل من الشوائب لا يراعي فيه غير ذلك، وكل هذه الإرادات استعبدنا بها فمن تمسك بواحدة منها فهو مخلص و ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٦٣] وإلى ذلك الإشارة بقوله جلا وعلا فيما يحكيه عنه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ «**الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي**»[1].

وقال ﷺ: رأيت كأني أطوف بالكعبة طالبًا من نفسي الإخلاص وأنا أفتش عليه في سري فإذا النداء عليّ كم تدندن مع من تدندن وأنا السميع القريب العليم الخبير، وتعريفي يغنيك عن علم الأولين الآخرين ما خلا علم الرسول وعلم النبيين.

(١) رواه القزويني في «مسلسلاته» كما قال العراقي في «تخريج إحياء علوم الدين» (٤ / ٣٦٥) من حديث حذيفة ﷺ ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣ / ١٨٧) عن علي وابن عباس.

وأما هو أربعة: إخلاص من مخلص بمخلص به لمخلص له، وهو على ضربين: إخلاص الصادقين، وإخلاص الصديقين فإخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب، وإخلاص الصديقين وجود الحق لا شيء من غيره مقصودًا به لا بشيء من عنده، فمن استودع ذلك في قلبه فهو المستثنى على لسان عدوه بقوله: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٣٩-٤٠].

وقال ﷺ: إذا أردت السلامة من العدو فأخلص العمل لله بشرط العلم ولا ترضى عن نفسك بشيء .

الباب الثامن والعشرون

في اليقين

قال ﷺ: من علم اليقين بالله وبما لك عند الله، أن تتعاطى بين الخلق ما لا تصغر به عند الحق وإن صغرت به في أعين الخلق بلا اعتراض في الشرع ولا منازعة من الطبع بل من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدائد وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد، بل من حق اليقين الغرق في الشيء كأنك نفس الشيء، كمن اضطر إلى رؤية البحر فركبه وانكسرت سفينته وتلاطمت عليه الأمواج فمنهم بعد من يفنى ويذهب مع الذاهبين وينقل إلى درجات عليين، ومنهم من يحيا ويبقى مع الباقين ولا حظ للمقتدي فيه، بل هو مستور عن الخلق أجمعين، ومنهم من يبقى برزخًا بين الخلق والحق ظاهرًا بالتعيين، كاملاً في الوصفين، قدوة للثقلين، ومنهم الإمام الأكبر الفرد القطب الغوث الجامع المختص بالأسماء والصفات والأنوار والأخلاق وما لا يسع أن يسمعه سامع، ومن دونهم من لا درجة له من الأولياء والأتقياء والعباد والزهاد، ومن أهل النظر بالدليل والبرهان ولم يطلع بعد إلى الكشف والعيان، ومن دونهم أهل الوسائل بالأعمال والأحوال وأهل التخليط في الأقوال والأفعال: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨] .

وقال ﷺ: إن كنت مؤمنًا موقنًا فاتخذ الكل عدوًا كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٧] وإن كنت بصيرًا محمديًا فاتل هذه الآية:

﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٩٤] أخرج الفعل بسين الاستقبال تحقيقًا للرسول، وأما الباري سبحانه وتعالى فلا ماض عنده ولا استقبال إذ لا يتحدد عنده شيء.

وقال ﷺ: الصادق الموقن لو كذبه أهل الأرض ما يزداد بذلك إلا يقينا ولو صدقه أهل الأرض لم يزدد بذلك إلا تمكينا.

وقال ﷺ يحكي عن أستاذه أنه قال: أربعة من كن فيه احتاج الخلق إليه وهو غني عن كل شيء: المحبة لله، والغنى بالله، والصدق، واليقين، الصدق في العبودية، واليقين بأحكام الربوبية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] .

الباب التاسع والعشرون

في الكرامة

قال ﷺ: بساط الكرامة أربعة: حب يشغلك عن حب غيره، ورضا يصل به حبك لمحبته، وزهد يحققك بزهد رسوله، وتوكل يكشف لك به عن حقيقة قدرته.

وقال ﷺ: وكرامة الله في الرضا يلهيك عن المصائب إلى يوم اللقاء.

وقال ﷺ كرامات الصادقين خمسة: أولها: دوام الذكر والطاعات بشرط الاستقامة، والثانية: الزهد في الدنيا بإيثار القلة، والثالثة: تجديد اليقين مع أهل المعارضات، والرابعة: وجود الوحشة مع أهل المنفعة والأنس مع أهل المضرة، والخامسة: ما يظهر على الأبدان من طي الأرض والمشي على الماء وغير ذلك مما لا يجري تحت حكم العادة، ولهذا الفصل أوقات أشخاص وأماكن، فمن طلبها في غير وقتها قل ما يعثر عليها، وعلى الجملة لا يعطاها من طلبها ولا من يحدث نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها إنما يعطاها عبد لا يرى نفسه ولا عمله، وهو مشغول بمحاب الله، ناظر لفضل الله، آيس من نفسه وعمله، وقد تظهر على من استقام في ظاهره وإن كانت هنات النفس في باطنه ظهرت على من عبد الله في اللجة في جزيرة من جزائر البحر خمسمائة سنة فقيل له: ادخل الجنة برحمتي فقال: بل بعملي.

وقال ﷺ: إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان في الدنيا: كرامة الإيمان بمزيد

الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل بالاقتداء على الكتاب والسنة والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة، فمن أعطيها وجعل يشتاق إلى غيرها فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالثواب كمن أكرم بشهود الملك والخدمة على عين الرضا وجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وجهل المرضي، وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله وعن الله، والمحبة لله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور.

وقال ﷺ: للقطب خمس عشرة كرامة فمن ادعاها أو شيئًا منها فليبرز لمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين وانفصال الأول عن الأول، ومن فصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه وحكم ما قبل وحكم ما بعد وحكم ما لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه.

وقال ﷺ: فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله بالعلم والقدرة والإرادة والصفات الأزلية بجمع لا يفترق وأمر لا يتعدد لأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد أيستوي من تعرف الله إليه بنوره كمن تعرف إلى الله بعقله؟.

وقال ﷺ: قيل لي: إن أردت كرامتي فعليك بطاعتي وبالإعراض عن معصيتي، فإن زللت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة، فاعلم قربي ونظري إليك وإحاطتي بك وقدرتي عليك واستنقذت نفسك مني ومن عظم قدرتي، وقل يا موجود قبل كل موجود، وهو الآن على ما هو عليه موجود، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن ضاقت عليّ الأرض بما رحبت وضاقت عليّ نفسي ولا ملجأ إلا إليك فتب عليّ لأتوب، إنك أنت التواب الرحيم.

الباب الثلاثون

في العلم

قال ﷺ: العلم الحقيقي هو الذي لا يزاحمه الأضداد ولا الشواهد على نفي الأمثال والأنداد كعلم الرسول والصديق والولي، ومن دخل هذا الميدان كان كمن غرق في البحر وتلاطمت عليه أمواجه فأي ضد يزاحمه أو يلقاه أو يسمع به أو يراه، ومن لم يدخل هذا الميدان واعترضته العوارض احتاج إلى قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وقال ﷺ: حل وصفك من علمك وقدرتك وإرادتك أن تحل في فعلك، ولا تحل فعلك في وصفك القائم بذاتك فما ظنك بربك.

وقال ﷺ: رأيت كأني واقف بين يدي الله ﷻ فقال لي: لا تأمن مكري في شيء، وإن أمنتك، فإن علمي لا يحيط به محيط وهكذا كانوا.

وقال ﷺ: لا تلتفت علمًا ولا عملاً ولا مدحًا، وكن بي ولي في ذلك أبدًا.

وقال ﷺ: لا تنشر علمك ليصدقك الناس وانشر علمك لله ليصدقك الله، وإن كان لام العلة موجودًا فعلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير لك من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك فلعلة تردك إلى الله خير لك من علة تقطعك عن الله فمن أجل ذلك علقك بالثواب والعقاب، إذ لا ترجى ولا تخاف إلا من قبل الله وكفى بالله صادقًا ومصدقًا، وكفى بالله عالمًا ومعلمًا، وكفى بالله هاديًا ونصيرًا ووليًّا، أي: هاديًا يهديك ويهدي بك ويهدي إليك، ونصيرًا ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك، ووليًّا يواليك ويوالي بك ولا يوالي عليك.

وقال ﷺ: هذه العلوم أنفاس وبيان لمواقع النفوس وخواطرها ومكرها وإرادتها، وقطع القلوب عن الملاحظة والمساكنة والمراكنة على سبيل التوحيد والشرع بضياء المحبة وإخلاص الدين والسنة ولهم نور زائد في مقامات اليقين من الزهد، والصدق، والشكر، والرجاء، والخوف، والتوكل. والرضا وغير ذلك من مقامات اليقين فهذا سبيل القاصدين في طريق المعاملات لله تعالى، وأما أهل الله وخاصته فهم قوم جذبهم عن الشر وأصوله واستعملهم بالخير وفروعه وحبب إليهم

الخلوات وفتح لهم سبيل المناجاة فتعرف إليهم فعرفوه، وتحبب إليهم فأحبوه، وهداهم السبيل إليه فسلكوه، فهم به وله لا يدعهم لغيره ولا يحجبون عنه بل هم محجوبون به عن غيره ولا يعرفون سواه ولا يحبون إلا إياه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٨].

وقال ﷺ: رأيت النبي ﷺ ونوحًا ﷺ وملكًا بين أيديهما فقال: لو علم نوح من قومه ما علم محمد من قومه ما دعا عليهم بقوله تعالى: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦] إلى قوله: ﴿دَيَّارًا﴾ هذا موضع العلم الحقيقي الذي لا يتبدل، ولو علم محمد ﷺ من قومه ما علم نوح ﷺ من قومه ما أمهلهم طرفة عين، ولكن علم أن في أصلابهم من يؤمن ويسعد بلقاء ربه فقال: «**اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون**»[١] فكل على علم وبينه من الله فألزم كل واحد ما ألزم من الدعاء، قال: أليس كذلك؟ فقال: بلى، وقال: من جاهد نفسه، وهواه، وشيطانه، وشهوته، ودنياه فغلب فهو منصور ومأجور، ومن جاهد أولئك فغلب فهو مغفول ومعذور ومشكور ما لم يصر على الذنب، أو يرضى بالعيب، أو تسقط منه الخشية في الغيب ومن كان بأحد الثلاث وعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، وآمن بالقدر كله، وخاف من ذنبه، ووجل من ربه والرحمة أسرع إليه من القطر إلى أرضه يقول الله تبارك وتعالى: «**أرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عبدي إذا أقبل عليّ**»، والهالك الذي يفرح بالمعصية إذا عصا ويحزن عليها إذا فاتته ويفتخر بها ولا يستتر منها، فنعوذ بالله من ذلك وهو في مشيئة الله.

وقال ﷺ: حقيقة العلم بالخير الكون فيه، وحقيقة العلم بالشر الخروج عنه.

وقال ﷺ: العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير في الأيدي إن شاء نفعك بها، وإن شاء ضرك بها.

وقال ﷺ: قرأت في وردي ليلة من الليالي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية:١٨-١٩] فنمت فرأيت النبي ﷺ يقول لي: أنا ممن يعلم ولا أغني عنك من الله شيئًا.

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٢٨٢

وقال ﷺ: سبعة ارفع قلبك عنها لا علوم، ولا أعمال، ولا خصائص، ولا ودائع، ولا أماكن، ولا لطائف، ولا حقائق ينجيك من قدر الله.

الباب الحادي والثلاثون

في الإرادة

قال ﷺ: أصول الإرادة على مذهب محققي الصوفية على أربع الصدق في العبودية وترك الاختيار مع الربوبية والأخذ بالعلم في كل شيء وإيثار الله بالمحبة على كل شيء والصدق ينبني على أربعة أصول على التعظيم والمحبة والحياء والهيبة وترك الاختيار ينبني على أربعة أصول على الشهود في القبضة وعلى التحقيق بالوصلة، وعلى التصديق، وعلى الثقة بضمان الله ﷻ ووعده، وأما الأخذ بالعلم فينبني على أربعة أصول: إما من طريق الإشارة، وإما من طريق المواجهة، وإما من طريق الفهم، وإما من طريق السمع، وأما إيثار الله بالمحبة فعلى أربعة أصول: إيثار الوجود على كل موجود، وإيثار الصفات بالتحسين لكل موجود، وإيثار أفعاله بالرضا عند كل مفقود، وإيثار محابه على محاب نفسك هذا لمن نفذ، وأما من لم ينفذ فليكن مع الأستاذ النافذ بهذه المثابة.

وقال ﷺ: في قول بعضهم من لم تصح إرادته فليوصل أمره على العلم برفض الجهل لم يزده مرور الأيام إلا إدبارًا.

وقال ﷺ: من أراد أن تصح إرادته فليوصل أمره على العلم برفض الجهل، وعلى رفض الدنيا بالإقبال على الآخرة، وليلازم الخلوة ودوام الذكر، وهناك تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء في الوجه، ويقبل الناس عليه من الرجال والنساء في الحواضر والبوادي ويسارعون إلى إكرامه والسلام عليه والتعظيم له، فإن قبل ذلك منهم قبل التمكين والتحقيق سقط من عين الله، ويرد إلى ما خرج منه فتارة يمدح هذا، ويذم هذا، ويحتال على هذا، أو يعرض عن هذا، ويغضب على هذا فقد ظهرت غورة نفسه بإدباره عن ربه ورفضه لمحاب الله بمحاب نفسه، فاحذروا هذا الداء العظيم فقد هلك به خلق كثير، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١١].

وقال ﷺ: هممت أن أدعو على ظالم فتورعت عن ذلك فرأيت أستاذي ﷺ يقول لي: إن الله لم يشأ إهلاكه فلا تستعجل لهم فالاستعجال بالهلاك للأعداء وإرادة النصر للأولياء من الشهوة الخفية، ومن أظلم ممن ينازع إرادة مولاه ويتبع شهوة نفسه وهواه، وقد أمر المعصوم الأكبر ونهى بقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥] وبقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩] فالإيمان يمحو الصفات بالصفات، والأسماء بالأسماء وتفريق الذوات في الذوات لتحقيق نعت ما هو الأول والآخر والظاهر والباطن فأي شيء كان معه أولاً حتى يكون معه آخرًا، وأي شيء كان معه ظاهرًا حتى يكون معه باطنًا، فما ثبت من المخلوق فبإثباته، وما محا فبمشيئته وإرادته، وخذ ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩] وهو العلم الأول وعنه صدر كل علم وكتاب.

الباب الثاني والثلاثون
في الإسلام

قال ﷺ: الإسلام يتحقق بالشكر لله فيشكرك الله، ولا إسلام بنفاق، فيشكرك الناس، وإن كان لا خير فيهم فإن صاحبه مذموم في الحال، ومعذب في المآل أو يتوب الله عليه قال الله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤] وهذا الإسلام الذي هو في ظاهره نفاق هو أقبح من السخط لقضاء الله والجزع، فإن ذا السخط والجزع يثبت لك معصية الله ويرجو التوبة منها، وذو النفاق في الإسلام يدعي الإسلام ويشهد له به، وقل ما يتوب منه والله يعلم ذلك منه.

الباب الثالث والثلاثون
في التوحيد

قال رحمه الله: التوحيد نور يعدمك لغيرك ويعدم غيرك لك.

وقال رحمه الله: التوحيد سر الله، والصدق سيف، ومدد السيف بسم الله وبرحمته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال ﷺ: كان لي صاحب وكان كثيرًا ما يأتيني بالتوحيد فرأيت في النوم أقول له يا أبا عبد الله إن أردت التي لا لوم فيها فليكن الفرق في لسانك موجودًا والجمع في سرك مشهودًا.

وقال ﷺ: أنوار الحق أربع: التوحيد، والمحبة، والإيمان، والرضا.

وقال ﷺ: من تعلق بأسماء الله من جهة المسميات أشرك باطنه، فكيف من تعلق بأسماء نفسه؟ أين أنت من التوحيد الحق المجرد عن التعليق بالله وبالخلق، وكل اسم تستدعي به نعمة أو تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات وعن التوحيد بالصفات، ومن أحاطت به صفة من صفاته ألجمته عن الاستعانة بالأسماء والصفات، ولا تدع ما هو لك بما ليس لك، ولا تتمن ما فضل الله به غيرك ولتكن عبوديتك التسليم والقبول لما تؤتى، وحسن الظن بالله فيما تلقى والاشتغال بما هو أولى ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠] وهذه المخاطبات لأهل المراتب والمقامات والدرجات والأحوال وأما أهل السعايات والفضائل والتكسب بالحركات والأقوال والأفعال، فهم عن ذلك معزولون، وإلى حدودهم يرجعون، ومن الأجور من الله لا يبخسون، هذا إن سلموا من بقبقة الكلام، وأخذ الرشاء على الصلاة والصيام، ومن التنعم بمطامح تلك الأبصار عند إطراق الرؤوس، والاشتغال بالأذكار، فإن جنايتهم بالإضافات، ورؤية الطاعات أكثر من جنايتهم بالمعاصي وكثرة المخالفات، وحسبهم ما يبدو لهم وعليهم من الطاعات، وإجابة الدعوات بالمسارعة إلى الخيرات.

وقال ﷺ: من اتقى الشرك في التوحيد والمحبة في أوائل خطراته عزم الله له بالمدد العزيز في أواخر ما مر به، ثم لا يحجب عن الله ولا يدخل عليه الخلل في عزائمه، ومن أبطأ به الأمر في أنفس الخطرات، ووجد منه الميل إلى أشخاص الشهوات بطئ عنه المدد على مقدار أوقات الفترات، هذا بيان من الله لأهل التيقظ من الغفلات، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧-٨] فاتَّقِ الله في الشرك التوحيد، واجتمع ولا تتفرَّق عنه بنقصٍ ولا مزيد، وإيَّاك والشرك في التوحيد في المحبة أيُّ شهوة كانت، ومن كان عبدًا لله خائفًا وجلاً مشفقًا من الله في نعمائه كان في أمن من الله فيما يرد عليه من عظيم بلائه دليله: «**من كان لله في الرخاء كان الله له في الشدة**»[1] الحديث.

---

(1) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٠٧)، والطبراني في الكبير (١١/ ١٢٣)، والحكيم الترمذي في النوادر (١/ ٢٤٢) بنحوه.

وقال ﷺ :ظاهر الظلم المحبة لغير الله، وباطنه الشرك في توحيد الله، وسره مقذوف به في البعد من الله وهو الحياة القائمة بذات روح العبد الشرك في توحيد الله، وهى مدد الصفات والحركات والأعمال، اللهم إني أعوذ بك من الشرك الذي لا توحيد معه، ولا إيمان يصحبه، ولا خير يتبعه، واغفر لي ما دون ذلك فإنك الضامن مع المشيئة له.

وقال ﷺ: يا أيها الناس اتجروا كي تربحوا، واحذروا أن تتجروا فتخسروا وتقبحوا، والتاجر من يعبد الله بحقائق التوحيد والإيمان، والرابح من ربح نفسه فخلصها من الشرك والكفر قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١] إلى قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥]. أهلك آدم وحواء ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأزواجه صلى الله عليهم أجمعين ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨] والخاسر من أشرك بالله في توحيده ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥] أومن أشرك بعبادة ربه شيئًا أو أحدًا من خلقه، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

الباب الرابع والثلاثون

في العبودية

قال رحمه الله: العبودية جوهرة أظهر الله بها الربوبية.

وقال ﷺ: العبودية هي امتثال الأمر، واجتناب النهي، ورفض الشهوات والمشيئات على الشهود والعيان.

وقال ﷺ: إذا أكرم الله عبدًا في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر

عنه حظوظ نفسه، وجعل يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جري ما قدر له ولا يلتفت إليها كأنه مشغول، وإذا أهان الله عبدًا في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه، وستر عنه عبوديته فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله عنه بمعزل، وإن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر، وهذا باب في الإهانة والولاية، وأما الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق عند ذوي البصيرة كلها سواء؛ لأنه بالله فيما يأخذ ويترك.

الباب الخامس والثلاثون
في مراتب الولاية والأولياء

قال ﷺ: مراتب الأولياء أربعة: مرتبة في القرب به، ومرتبة في الملك، ومرتبة في الحقوق، ومرتبة في الخصوص.

وقال ﷺ: الولي مصان في أربعة مواطن: في الخواطر والوساوس في الصلاة، ووقت الدعاء واللجأ إلى الله، ووقت نزول الشدائد، وعند تفريجها فهذه المواطن لا يخطر بقلوبهم ولا يتعلق فيها بشيء سوى الله ﷻ وهي محروسة مصانة إلا من أربعة أصناف: من الآخرة وضدها، ومن ذكر الأولياء وأضدادهم، ومن ذكر الطاعة وأضدادها، ومن ذكر حقائق الإيمان وأضدادها، فهي مصانة من جميع الخواطر كلها إلا من هذه الأربعة لما فيها من فوائد الاستعمال بالعبودية المحصنة من النهوض عند الضد، وكيف لا يكون لك ورسالات ربنا على لسان نبينا محشوة بذكر ذلك كله؟ فلا تنازع في دفع شيء من هذا الباب. واعط الأدب حقه فيما يخطر بقلبك، واعتصم بالله وتوكل عليه، فإن الله يحب المتوكلين، وعليك بالتقوى في ثلاث منازل: تقوى العزائم، وتقوى الاقتضاء، وتقوى التحويل في الأحوال والأماكن. والتوكل رأس الأعمال والزهد أساسها، وتفسير التقوى في العزائم أن تعزم على جانب الخير أن تفعله، وفي جانب الشر أن لا تفعله ثم تقضي من نفسك في وقت ثانٍ بتقوى تحدد أن تفعل كما عزمت، وأن تترك كما زعمت ثم تعترضك في الأحوال الظاهرة والباطنة أحوال كالعز والذل، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والبؤس والنعماء وغير ذلك، وفي الباطن كالقبض والبسط، والخوف والرجاء، وغير ذلك، ومنه أيضًا الكبر

والتواضع، وخوف الفقر والأمن، وسائر الأضداد فتعطي التقوى حقها في الأحوال وفي الأوصاف بالتحويل من بذل إلى بذل ومن موضع إلى موضع، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥] فانفذ بالفهم وأنزل كل تقوى منزلتها ترى العجائب وأسرار الله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، ومن يزهد في الدنيا يحبه الله، ومن أحبه الله كفاه الله وكلاه الله وجعله في حرزه وفي مأمنه وفي وكالته وفي معاقله، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزخرف:٣٦] نفسًا أو نفسين أو زمانًا أو زمانين أو ساعة أو ساعتين ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧].

وقال ﷺ: كِلْ نفسك وزنها بالصلاة، وإقبال الناس عليك وإعراضهم عنك، وبالفقد والوجد في الأحوال الظاهرة والباطنة، فإن خطر بالبال شيء تسكن إليه أو تفرح به أو تحزن عليه أو تهتم له أو من أجله فذلك عيب يسقطك من الولاية الكبرى والصديقية العظمى، وعساك أن تحظى بالولاية الصغرى في درجات الإيمان ومزيد العمل ولن يعدم فيها الوساوس والخواطر؛ لأنك تعد في سماء الدنيا وقريب من الشيطان والهوى يسترقون ويلقون ويقولون، فإن أيدت بنجوم العلم وكواكب اليقين ودوام الحفظ فقد تمت ولايتك في هذا الباب وإلا كنت شاغرًا تارة لك وتارة عليك على حسب ذلك ولك أجر المجاهد في سبيل الله.

وقال ﷺ: من أجل مواهب الله الرضا بمواقع القضاء والصبر عند نزول البلاء والتوكل على الله عند الشدائد والرجوع إليه عند النوائب، ومن خرجت له هذه الأربعة من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والاقتداء بالأئمة فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله له بقوله

تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] فرق بين الولايتين: فعبد يتولى الله، وعبد يتولاه الله فهما ولايتان صغرى وكبرى، فولايتك لله خرجت من المجاهدة، وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته، وولايتك للمؤمنين خرجت من الاقتداء فافهم ذلك من قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ [المائدة:٥٦] الآية.

وقال ﷺ: يبلغ الولي مبلغًا يقال له: أصحبناك السلامة وأسقطنا عنك الآنية فاصنع ما شئت.

الباب السادس والثلاثون

في المحبة

قال ﷺ حاكيًا عن أستاذه: الزم الطهارة من الشرك كلما أحدثت تطهرت، ولا تشرك بالله شيئًا، ومن دنس حب الدنيا كلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو كلما أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله، ولعلي أحدث من لا يعرف المحبة ولا الشراب ولا الكأس ولا الصحو ولا السكر، قال له القائل: أجل وكم من غريق في الشيء لا يغرق بغرقه فعرفني ونبهني عما أجهل، أو لما مَنَّ به عليّ وأنا عنه غافل قلت لك: نعم المحبة أخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله، وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله ﷻ والشرب سقيا القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب حتى يسكر ويكون الشرب بالتذويب بعد التدريب والتهذيب، فيسقى كل على قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة والله سبحانه يتولى ذلك منه له، ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين فمنهم من يسكر بشهود الكأس، ولم يذق بعد شيئا فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالري وبعد بالسكر بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما أن الشكر أيضًا كذلك،

والكأس معرفة الحق تعرف بها من ذلك بالشراب الطهور المحض الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه فتارة يشهد الشارب بذلك الكأس صورة، وتارة يشهدها معنوية، وتارة يشهدها علمية، فالصورة حظ الأبدان والأنفس، والمعنوية حظ القلوب والعقول، والعلمية حظ الأرواح والأسرار، فيا له من شراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه ودام ولم يقطع عنه نسأل الله من فضله ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤] وقد يجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة، وقد يسقون من كؤوس كثيرة، وقد يسقى الواحد بكأس وبكؤوس، وقد تختلف الأشربة بحسب عدد الكؤوس، وقد يختلف الشرب من كأس واحدة، ولو شرب منه الجم الغفير من الأحبة.

وسئل ﷺ عن المحبة! فقال: المحبة أخذة من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه فترى النفس مائلة بطاعته، والعقل متحصنًا بمعرفته، والروح مأخوذة في حضرته، والسر مغمور في مشاهدته، والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة، ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم فمن أجل ذلك قالوا: أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون، قال له القائل: قد علمت الحب، فما شراب الحب، وما كأس الحب، وما الذوق، وما الساقي، وما الشرب، وما الري، وما السكر، وما الصحو؟ قال له: أجل الشراب هو النور الساطع من جمال المحبوب، والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب، والساقي هو المتولي للمخصوصين الأكابر والصالحين من عباده وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه، فمن كشف له ذلك الجمال وحظي بشيء منه نفسًا أو نفسين ثم أرخي عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق، ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقًّا، ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذلك هو الري، وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدري ما يقال ولا ما يقول فذلك هو السكر، وقد تدور عليهم الكؤوس وتختلف لديهم الحالات ويردون إلى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم وإشباع نظرهم ومزيد علمهم، فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم وبشموس المعارف

يستضيئون في نهارهم ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال ﷺ: من أحب الله وأحب لله فقد تمت ولايته، والمحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له غير مشيئته فإذن من ثبتت ولايته من الله له لا يكره لقائه ويعلم ذلك من قوله تعالى: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الجمعة:٦] فإذن الولي على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، وأحب له من لا يحب شيئًا لهواه، وأحب لقاءه من ذاق أنس مولاه، ويتمحص لك الحب له في عشرة فاعتبرها: في الرسول ﷺ، والصديق، والفاروق، والصحابة، والتابعين، والأولياء، والعلماء الهداة إلى الله تعالى، والشهداء، والصالحين، والمؤمنين، فإذا افترق الأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء: إلى السنة، والبدعة، والهداية، والضلالة، والطاعة، والمعصية، والعدل، والجور، والخوف، والباطل، ميزت وأحببت وأبغضت فأحب له وأبغض له ولست تبالي بأيهما كنت، وقد يجتمع لك الوصفان في شخص واحد ويجب عليك القيام بحقهما جميعًا فإذا قد بان لك الحب في الله في العشرة الأولى فانظر هل ترى للهوى هناك أثرًا في كذلك؟ فاعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين والمشايخ الصالحين والعلماء المهتدين وسائر ما حضر ومن جاء ومن غاب عنك أو مات، فإن وجدت قلبك لا تعلق له بمن حضر كما لا متعلق له بمن غاب أو مات فقد خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله، فإن وجدت شيئًا يتعلق به فيمن تحب أو فيما تحب فارجع إلى العلم وأتقن النظر في الأقسام الخمسة من الواجب والمندوب إليه والمكروه والمحظور والمباح.

وقال ﷺ: أوصاف المحب أن يكون دائم الفكر، كثير الذكر، قليل العبارة دائم الصمت، لا يخاف ولا يرجو ولا يسمع إذا نودي، ولا ينظر إذا نظر.

وقال ﷺ: المحبة سر في القلب من المحبوب إذا ثبت قطعك عن كل مصحوب.

وقال ﷺ: حقيقة المحبة رؤية المحبوب على العيان، وكمالها فقدانك في كل وقت وأوان، وقال ﷺ: المحبة في الأفهام فمن أحب الله فهم عنه في كل شيء.

وقال ﷺ: المحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له مع مشيئته، وقال ﷺ: حرام عليك أن تتصل بالمحبوب وبقى لك في العالمين مصحوب، وقال ﷺ: إذا منعك مما تحب وردك إلى ما يحب فهي علامة محبته لك.

الباب السابع والثلاثون

في المعرفة

قال ﷺ: المعرفة ما قطعتك عن غير الله ورددتك إلى الله.

وقال ﷺ: خصلتان يسهلان الطريق إلى الله: المعرفة، والمحبة، حبك للشيء يعمي ويصم.

وقال ﷺ: اعرف الله ثم استرزقه من حيث شئت غير مكبٍ على حرام، ولا راغب في حلال، وانصح لله في عبادته ولا تخنه في أمانته، واعبد الله باليقين تكن إمامًا من أئمة الدين، وارتفع عن علم الجهلة إلى علم الخاصة تكن من الوارثين، ولك أسوة في المرسلين ومتحقق في النبيين ومن نسب أو أضاف أو أحب أو أبغض أو تحبب أو تقرب أو خاف أو رجا أو سكن أو أمن لشيء أو بشيء غير الله أو تعدى حدًّا من حدود الله فهو ظالم، والظالم لا يكون إمامًا. قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]، ومن صدق الله في نفسه فهو إمام قلَّت روايته أو كثرت، ومن كان إمامًا فلا يضره أن يكون أمة واحده وإن قلت أتباعه.

وقال ﷺ: كيف تعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، أم كيف تعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء؟.

وقال ﷺ في قول بعضهم حقيقة المعرفة الغنى بالله عن جميع الأنام: فإن قيل لك: وكيف وأحوج الله نبيه إلى عدوه؟ فيقول: إذ ذاك انظر إلى غناك عن السماوات والأرض مع الحاجة إليهما، وكل من يحتاج قطعة منهما فالذي رفع السماوات أن تقع عليك، ومنع الأرض أن تبلعك هو الذي دفع ضر القطيعة عنك وأوصل النفع منهما إليك، والله أحوجك إليه في كل شيء لتعبده في كل شيء لتعبده بكل شيء حتى

يغنيك به عن كل شيء وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] وهو العيان فيغنيك عن البرهان وتمحق عنك الغفلة والنسيان:

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٣٠] فقلت: فكيف أعبدك في كل شيء؟ فقيل: لتعطي التسليم حقه من غير حرج، والثناء حقه من غير عوج، والاستهداء حقه من غير كذب، وهو معنى قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] فالتسليم حق الأبدان، والثناء حق اللسان، والاستهداء حق الجنان ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣].

وقال ﷺ: حقيقة المعرفة استواء العارف بوصف معروفه من كل شيء سواه وهو محل الغنى بالله عن كل شيء دون مولاه.

وقال ﷺ: المعرفة، والمحبة والمواجيد، والحقيقة أذهبت عنك الأغراض والأعراض والأمراض، أي: مذامّ الأغراض ومناقص الأعراض وعلل الأمراض.

وقال ﷺ: كنت مريضًا بالقيروان فرأيت النبي ﷺ فقال: طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس، فقلت: وما ثيابي يا رسول الله؟ فقال: إن الله تعالى كساك حلة المعرفة، ثم حلة من المحبة، ثم حلة التوحيد، ثم حلة الإيمان، ثم حلة الإسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء، ومن أحبَّ الله هان عليه كل شيء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئًا، ومن آمن بالله أمن من كل شيء، ومن أسلم لله قل ما يعصيه في كل شيء، وإن عصاه اعتذر إليه، وإن اعتذر إليه قبل عذره، قال: ففهمت من ذلك قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤].

وقال ﷺ: كنت في مغارة فقلت إلهي متى أكون لك عبدًا شاكرًا فسمعت النداء من جوف المغارة: إذا لم ترى في الوجود منعمًا عليه غيرك فأنت إذًا شاكر، فقلت: فالنبي والعالم والملك أكبر مني نعمة، فقيل لي: إن النبي والعالم نعمة من الله عليك، فالنبي بلغك عن الله الشرائع، والملك به صلحت الدنيا واستقامت لك عبادتك والكل نعمة من الله عليك.

الباب الثامن والثلاثون
في السكينة

قال ﷺ: السكينة وجود الحق بلا سبب ورجوع إلى الحق بغير أرب اللهم إلا لاقتضاء العبودية فحينئذ يكون حظ النفس الخدمة، وحظ القلب المعرفة، وحظ العقل المكاشفة، وحظ الروح المحبة.

الباب التاسع والثلاثون
في البصيرة

قال ﷺ: تأديب وتعليم من الله لمن له البصيرة في دين الله يقول: إنما هما شيئان شيء قسمته لك، وشيء صرفته عنك، فمن اشتغل بهما أو بواحد منهما فقد قل فهمه وعظم جهله وذهل عقله واتسعت غفلته، وقل ما يتنبه لمن يوقظه فإن جاءك محبوب بالشرع أو بالطبع أو بهما أو جئته أنت فهو من القسم الأول، وكن بي ولي في ما قسمته لك أكن لك بالرحمة فيما صرفته عنك وفيما يساق من المكروه إليك فأشغلك بما هو أولى بك عما هو مصروف عنك، وأذيقك حلاوة الرضا بقضائي حتى يكون المكروه أحب إليك من كل محبوب بالطبع هو لك، وإن لم تكن بي ولا لي فيما قسمته لك وكلتك إلى نفسك فيما هو مصروف عنك وفيما يساق إليك من المكروه وإن الله ليعجب من عبد يجتهد في صرف ما هو مصروف عنه وفي دفع ما لا بد له عنه، فاعمل لله باليقين واثبت الأمر حيث أمرك وانته عن النهي حيث نهاك على البصيرة في اليقين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال ﷺ: رأيت كأني مع رجلين مع أصحابي والشمس علينا وكأنها قد خسفت وإذا شخص بين يدي يقول: إذا خسفت شمسك فطهر أعضائك وجرد ثيابك وقم بين يدي ربك بالتعظيم والتسبيح والتحميد والركوع والسجود وحسن المناجاة للملك المعبود ثم لا تبرح حتى يغفر لك ويذهب الخسف عنك فترى ما غاب عنك بأشد ما تراه بعينك، ثم قال: أدبها وعلمها كما أدبت وعلمت.

وقال ﷺ: إنا لننظر ببصائر الإيمان والإيقان وأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل في الوجود شيء سوى الملك الحق فلا تراه، وإن

كان ولا بد فتراهم كالهباء في الهوى إن فتشتهم لم تجد شيئًا والعيون في الاتصال ونعوت الأنوار كالنجوم مع الأقمار أي لا حكم لهم مع وجودهم ولكن يستفاد بهم الاهتداء في الظلم: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] والأكابر من العيون كالشموس مع الأقمار وهم قليلون: ﴿قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] وهم كثيرون في معناهم فالشمس واحدة في العدد وهي واحدة في معناها والنجوم كثيرة في العدد وهم قليلون في معناهم، وهكذا تفهم أمثلة إشارة الأنبياء والرسل والصديقين والأولياء والشبيه من له شبيه ونظير بعيد في التحصيل بمن لا شبيه له ولا نظير ولكن يعطي الأفهام للسالكين فيسكن قلوبهم لما يسمعون.

وقال ﷺ: إذا أردت أن تنظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان دائمًا فكن لنعم الله شاكرًا وبقضائه راضيًا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣] فإذا أردت النيابة عنك أو منك فاعبد الله على المحبة لا على المتاجرة ولا على المعرفة بالتعظيم والصيانة.

وقال ﷺ: إذا امتلأ القلب بأنوار الله وامتلأ السر بالنور الأعلى عميت بصيرته عن المناقص والمذام المقيدة لعباده المؤمنين لما أطلق عليهم من الثناء الأعلى الذي لا غاية له أبد الآبدين، وإذا حُجب العبد عن النور الأعلى وتقيد بالنور الأدنى تغير لتغيره، ويتكدر بعساكر سبله، وظلمة وقته فتحسبه إن وقف للقيام بأمره ونهيه[1].

وقال ﷺ: رأيت آدم عليه السلام وكأنه ينظر عن يمينه وينظر عن شماله فهناك تبينت الضحك والبكاء ورأيت الجنة عن يمينه والنار عن شماله، ورأيت الناس ينعمون في الجنة منه ورأيت الناس يعذبون في النار منه فقيل لي: تعرف حقيقة اليمين وحقيقة الشمال من أبيك آدم وبقي لك أن تطلع على يمين اليمين، وشمال الشمال، والفوق وفوق الفوق، والتحت وتحت التحت، وتطلع على البرزخ الأعلى، وعلى البرزخ الأدنى وكل البرازخ السائلة من ذلك البرزخ وهو الذي بين الحق والخلق.

وقال ﷺ: ذهب العمى وجاء البصر بمعنى فانظر إلى الله تعالى فهو لك هاد فإن تنظر فبه، وإن تسمع فمنه، وإن تنطق فبه، وإن يكن فعنده، وإن لم يكن فلا شيء غيره فالأبعاض قسط الخلق: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً

---

(١) والرواية التي في «تعطير الأنفاس»: «تغير لتغييره، وتكدَّر تعسًا كل ليلة وظلمة وقته، فحسبه إن وقَّر القيام بأمره ونهيه»، وليس في «المفاخر العلية» (ص ١٢٤) بتحقيقنا.

أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥] هذا مع الحركات والتكوين لا يخرج عنها شيء خرج منها فما ظنك بمن لا تمسه الأكوان ولا الظنون ولا الأوهام.

قال ﷺ: البصيرة كالبصر أدنى شيء يقع فيه يعطل النظر وإن لم ينته الأمر به إلى العمى والخطرة عن الشر يسود النظر ويكدر الفكر والإرادة له تذهب بالخير رأسًا والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم من الإسلام فيما هو فيه ويأتي بضده فإن استمر على الشر تفلت منه الإسلام سهمًا سهمًا فإذا انتهى إلى الوقيعة في الأئمة وموالاة الظلمة جنا في الجاه والمنزلة، وجنا في الدنيا على الآخرة فقد تفلت منه الإسلام كله ولا يغرنك ما يوسم به ظاهرًا فإنه لا روح له وروح الإسلام حب الله ورسوله وحب الآخرة وحب الصالحين من عباده.

وقال ﷺ: نظر الله لا يمتد منه إلى خلقه ولا يقف في نظره ولا يستعطف عن منظوره جل نظر ربنا عن القصور والنفوذ والتجاوز والحدود.

وقال ﷺ: أذكر على ألا تنافي الصفات ذكرها قبل وجودها ثم انظر هل ترى للعين أين أو ترى للكون كائن أو ترى للأمر شأن وكذلك يعد وجودها.

وقال ﷺ: عمى البصيرة في ثلاثة أشياء إرسال الجوارح في معاصي الله والتضييع لطاعة الله والطمع في خلق الله فمن ادعى البصيرة مع واحد من هذه فقلبه هدف لظنون النفس ووساوس الشيطان.

الباب الأربعون

في الأسرار

قال رحمه الله: الأسرار أربعة: سر قائم بذاته متصل بذات رسوله ومحيط بنبوة أنبيائه وهو الذي ترجم به بشهادته وتنزل به الأمر على ملائكته ونزل من سمائه إلى أولي العلم من خلقه وأمر به جميع مخلوقاته في السر الأول، والثاني والثالث هو ما يطلع عليه العبد من الغيوب ، والرابع سر القلب وهو المعرفة.

وقال ﷺ: سر الأسرار مدد العلم والمعرفة وروح القربى والمحبة والاصطفاء والتخصيص والتولية.

الباب الحادي والأربعون

في التصوف

قال ﷺ: التصوف تدريب النفس على العبودية وردها إلى أحكام الربوبية.

وقال ﷺ: للصوفي أربعة أوصاف: التخلق بأخلاق الله سبحانه، والمجاورة لأوامر الله، وترك الانتصار للنفس حياءً من الله، وملازمة البساط بصدق الفناء مع الله.

وقال ﷺ: الصوفي من الخلق في طي سره كالهباء في الهواء غير موجودين ولا معدومين جسمًا هم في علم الله فالعوارض التي تمر على السر إنما هي للتحذير أو التأكيد ليعلم بذلك حقيقة التوحيد.

الباب الثاني والأربعون

في الحقائق

قال رحمه الله: الحقائق هي المعاني القائمة بالقلوب، وما اتضح لها وانكشف بالغيوب، وهى منح من الله وكرامات وبها وصلوا إلى البر الطاعات، ودليلها قوله ﷺ لحارثة: «كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا»(١) الحديث.

وقال ﷺ: الحقائق على ضربين: حقائق وجود الإنسان، وحقائق وجود الملك الديان، فحقائق وجود الإنسان ترجع إلى أربعة أشياء: حقائق عالم الغيب والشهادة، وعلم ما كان وما يكون، وحقائق وجود ترتيب الرسالات والنبوات والولايات، وعلم اليقين والشهادات والصلاح وسائر أنوار العبادات، وحقائق وجود الإنسان من البدن، والنفس، والهوى، والشهوة، والصبر، والقلب، والفؤاد، والعقل، والجنة، والعلم، والجهل، وأصله والمحبة وأصلها، واليقين والروح وأصلها، والسر وأصله، والنور وأصله، والبصيرة والتحير، ومادة النفس من الأمر الرباني وهو موجود عليّ وله سلطان قوي من الروح الأكبر، والسر من السر الأعلى، والعقل من العقل الأصلي، والعلم من المعرفة الأصلية، والنور من النور الأعلى، والمحبة من الرحمة،

(١) رواه ابن أبي شيبة ٦/ ١٧٠ وعبد بن حميد ١/ ١٦٥.

والشهوة من السخط، والسخط والحمق من الهوى، والبصيرة من الحق والتحاير من الملائكة، فإن أعطي جانب الملائكة جانب الطبيعة والطبيعة أصلها من الشيطان، وحقائق وجود الملك المنان من الذات والصفات والأسماء والنعوت والأخلاق والأنوار والأسرار.

وقال ﷺ: من تحقق الوجود فني عن كل موجود، ومن كان بالوجود ثبت به كل موجود، وقال ﷺ: ليستقر في قلبك أنه لا ضار ولا نافع إلا الله، ولا معطي ولا مانع إلا الله ثم لا تضطرب ولا تسكن ولا تنسب إلى الخلق شيئًا، ولو قرضت بالمقاريض ونشرت بالمناشير أكتبك صديقًا عزيزًا، فقلت: فكيف لي تثبيت عليه وما يعاقب عليه؟ فقال لي: أثبت ما أثبت من الثواب والعقاب وأفعال العباد، ولا يضرك الإثبات لما أثبت، وإنما يضرك الإثبات بهم ومنهم.

وقال ﷺ: أثبت لي ما هو حق لي أثبت لك ما هو حق لك بما هو حق لي، ثم أخذك عما هو حق لك وأثبتك بما هو حق لي، وقل: يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود، يا سميع، يا قريب يا مجيب، يا علي يا عظيم، يا حليم يا عليم، يا سميع يا بصير، يا مريد يا قدير، يا الله يا حي يا قيوم، يا رحمن يا رحيم، يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، يا متكبر يا غفور يا غفار، يا تواب يا رحيم، يا علي يا كريم، يا واسع يا عليم، يا ذا الفضل العظيم.

وقال ﷺ: إن أردت رضاي فمن اسمي ومني إليّ لا من اسمي ولا من اسمك إليك، قال: وكيف ذلك؟ قال: سبقت أسمائي عطائي، وأسمائي من صفاتي، وصفاتي قائمة بذاتي ولا يتحقق ذاتي غير ذاتي، وللعبد أسماء دنية وأسماء علية، وأسماؤه العلية قد وصف الله بها بقوله سبحانه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة:١١٢]، وبقوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] وأسماؤه الدنية معروفة كالعاصي والمذنب والفاسق والظالم وغير ذلك فكما يمحق أسماؤه الدنية بأسمائه العلية كذلك تمحق أسماؤك بأسمائه وصفاتك بصفاته؛ لأن الحادث إذا قبل بالقديم فلا بقاء له، فإذا ناديته بأسمائه كقولك: يا غفور، يا تواب، يا وهاب، فاستدعيت بها العطاء لنفسك فقد تنزلت من أسمائه إلى نفسك، وكذلك إذا لاحظت أسمائك الدنية

من المعاصي والظلم والفسوق فسألت سترها ومغفرتها فأنت باق مع نفسك وإذا ناديته باسمه العلي ولاحظت صفاته العلية قائمة بذاته محقت أسمائك كلها وانعدم وجودك فصرت محوًا لا وجود لك البتة فذلك محل الفناء والبقاء بعد الفناء: ﴿مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٣].

وقال ﷺ: كنت ذات ليلة متفكرًا بالفكرة الغيبية الذاهبة عن العلمية فأفادني الله حلمًا جليلاً سعيت في الغيوب سعيًا جميلاً، فقلت في نفسي: أليس هذا خير من الدخول في الحوائج للخلق مع الخلق والكون مع الله أتم من الكون في الحاجات للناس وإن كان مأذونًا فيها بالشرع؟ فبينما أنا كذلك إذ نمت فرأيت كأن السيل قد أحاط بي من كل جهة يحمل الغثاء عن يميني وعن شمالي فجعلت أخوض لأخرج منه فلم أر برًا أنفذ إليه من الجهات الأربع فاستسلمت نفسي ووقفت في السيل كالسارية أو النخلة الثابتة، فقلت في نفسي: هذا من فضل الله أن ثبت لهذا السيل لا يصيبني شيء من الغثاء، فخرج إليّ شخص جميل الصورة فقال لي: إن من أجل التصوف التعرض في الحوائج للخلق واستقضاؤها من الملك الحق، فما قضاه الله شكرت، وما لم يقضه رضيت وليس قضاؤه الموجب للشكر بأتم من عدم قضائها الموجب للرضا، وقد علمني الله علمًا قائمًا بذات نفسي لا يفارقها بل هو اللازم لها كالبياض في الأبيض والسواد في الأسود، وهو علم لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار، وانظر الإلهية والفردانية والوحدانية والقهارية والربوبية والعز والمغفرة وكيف لف هذا كله في كلمة واحدة، وإن المغفرة لتنزل على العارف بالله كالسيل الحامل للغثاء ويثبت الله فيها وبها من يشاء ولا يصيبه شيء من الغثاء، فانتبهت من نومي وقد وعيت السر العظيم والحمد لله رب العالمين.

وقال ﷺ: إن رجالاً محق أوصافهم بأوصافه، أو فسخ عقائدهم بأنواره وأبطل عزائمهم بإرادته وأغناهم بالرحمة الذاتية عن رحمته واصطفاهم لمناجاته، وبث فيهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه.

وقال ﷺ: أبى المحققون أن يشهدوا غير الله بما حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الربوبية.

وقال ﷺ: حق التوكل صرف القلب عن كل شيء سوى الله، وحقيقته نسيان كل شيء سواه، وسره وجود الحق دون كل شيء يلقاه، وسر سره ملك وتمليك لما يحبه ويرضاه.

وقال ﷺ: حقيقة الزهد فراغ القلب مما سوى الرب.

وقال ﷺ: حقيقة الخشوع دنو القلب بين يدي الرب.

وقال ﷺ: حقيقة السجود إذعان القلب تحت أحكام الرب.

وقال ﷺ: حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله في كل نفس من اختيار حالة يكون السر عليها، وقال: حقيقة الهجران نسيان المهجور.

وقال: حقيقة الهمة تعلق القلب بالشيء المهتم به، وكمالها اتصال القلب بالكلية بالانفصال عن كل شيء سواه.

وقال ﷺ: حقيقة القرب منك الغيبة بالقرب عن القرب لعظم القرب.

وقال ﷺ: إرجاعك السر إلى القرب منك كامتداده إلى حد البعد عنك، وإنما هما وصفان: وصف الفناء، ووصف البقاء، وإن كنت بالفناء فلا قرب ولا بعد كما لا وصل ولا فصل، وإن كنت بالبقاء فقد علمت ما قال: «فبي يسمع وبي يبصر»[1]... الحديث.

وقال ﷺ: حقيقة المريد، فقدان المزيد لعظم المزيد.

وقال ﷺ: خطر ببالي يومًا أني كسبت شيء ولا عندي من الأحوال والمقامات شيء فغمست في بيت مسك فكنت فيه غريقًا فلدوام غرقي لم أجد له تلك الرائحة، فقيل لي: علامة المزيد فقد المزيد لعظم المزيد.

وقال ﷺ: حقيقة الاستقامة وجود الإقامة على بساط المشاهدة.

وقال ﷺ: قرأت ليلة من الليالي في وردي قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] فأخذني حال فرأيت أبا بكر الصديق ﷺ فقال لي: صل من يبقى واهجر من يفنى، تجل عن الفناء، وتكرم بالبقاء، وقال: رأيت كأني مع النبيين والصديقين فأردت الكون معهم ثم قلت: اللهم اسلك بي سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم فإنهم أقوى ونحن أضعف منهم، فقيل لي: قل: وما قدرت من شيء فأيدنا كما أيدتهم.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٢/ ٢٣٦).

الباب الثالث والأربعون
في السَّماع

قال ﷺ: رأيت في النوم كأني أخاصم ثلاثة رجال في السماع فرأيت أستاذي رحمه الله وهو يقول: ما لكم وله إن جلس مع الناس كان ذاكرًا مذكرًا، وإن خلا كان مناجيًا مفكرًا، ظاهره بالتحقيق والشرع مشهور، وباطنه بالتوحيد مستور، يصدق فيه قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق:٧] ويصدق فيه قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]، ثم قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال ﷺ: سألت أستاذي عن السماع فأجابني بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات:٦٩-٧٠].

وقال ﷺ: رأيت في النوم كأني بين يدي كتابين: كتاب الفقيه ابن عبد السلام، وأوراق فيها شعر من جزء، وإذا بأستاذي ﷺ واقف فتناول كتاب الفقيه بيمينه والأوراق بشماله فقال له كالمنتهر: أتعدلون عن العلوم الذكية وأشار بيده اليمنى إلى كتاب الفقيه إلى أشعار ذوي الأهواء الرديئة، وأشار بيده إلى أوراق الشعر ثم رماه في الأرض.

وقال لي ﷺ: من أكثر من هذه فهو عبد موثوق لهواه وأسير شهوته تستفزون بها قلوب الغفلة والنسوان، ولا إرادة لهم في عمل الخير واكتساب العرفان يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود ولم يحظ أحد منهم بما حظي به أهل الشهود لئن لم ينته الظالم ليقلبن الله أرضه سماءً وسماءه أرضًا.

قال ﷺ: فأخذني حال بتوحيد وبكاء وأنا أقول: ألا إن النفس أرضية والروح سماوية، وقال: بلى إذا كانت الروح بأمطار العلوم جارية والنفس بالأعمال الصالحات ثابتة فقد ثبت الخير كله، وإذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة فقد حصل القحط والجدب وانقلب الأمر وجاء الشر كله، فعليك بكتاب الله الهادي وبكلام رسوله الشافي فلن يزال الخير ما أتمر بها، وقد أصاب الشر من عدل عنهما، وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى:٢٣].

الباب الرابع والأربعون
في الصحبة

قال ﷺ: لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه لا يدوم، واصحب من إذا ذكر ذكر الله والله ينوب عنه إذا فقد ويغني به إذا شهد ذكره نور القلوب وشهوده مفتاح الغيوب، وليكن قصدك الله وحب الموت مع كل قدم، ولا تطول أملك ولا تصحب من هو بهذا الوصف، وإن صحبته فلا تعول عليه وارفضه بأول قدم وعامله بالمعروف مدة الصحبة معك.

وقال ﷺ: من لم يذق الأنس مع الله إذا أعرض عنه من ينفع أو من يؤذي بأشد من ذوقه إذا أقبلوا عليه فليس معه الأُنس بالله لا قليل ولا كثير.

وقال ﷺ: الصحبة مع الله برفض الشهوات والمشيئات ولن يصل العبد إلى الله تعالى وتبقى معه شهوة من شهواته ولا مشيئة من مشيئاته.

الباب الخامس والأربعون
في العاقل

العاقل من عقل عن الله ما أراد به ومنه شرعًا، والذي يريد الله تعالى بالعبد أربعة أشياء: إما نعمة، أو بلية، أو طاعة، أو معصية، فإذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضي منك الشكر شرعًا، وإذا أراد الله بك بلية فالله تعالى يقتضي منك الصبر شرعًا، وإذا أراد الله منك الطاعة، فالله تعالى يقتضي منك شهود المنة ورؤية التوفيق منه شرعًا، وإذا أراد الله منك معصية فالله تعالى يقتضي منك التوبة والإنابة شرعًا، فمن عقل هذه الأربعة عن الله وكان فيها بما أحبه الله منه شرعًا فهو عبد على الحقيقة بدليل قوله ﷺ: **«من أعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر، ثم سكت قالوا: ماذا له يا رسول الله؟ قال: أولئك لهم الأمن وهو مهتدون»**[1].

وقال ﷺ: العاقل من عقل عن الله آياته وشغله بالذكر والفكر في الآية، وفتح له السبيل باللجوء والافتقار إليه والدعاء والسؤال منه بالاعتصام به فاستجاب لله

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٤/ ٢٠٩)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١٠/ ٢٨٤.

واستجاب الله له فليس يعلم أحد ما يريد الله أن يعطيه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال ﷺ: العاقل عن الله من عرف إساءة نفسه في إحسان الله إليه:

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩].

الباب السادس والأربعون

في التّدبير

قال ﷺ: من انقطع عن تدبيره إلى تدبير الله، وعن اختياره إلى اختيار الله، وعن نظره إلى نظر الله، وعن علم مصالحه إلى علم الله بملازمة التسليم والرضا والتفويض والتوكل على الله فقد آتاه الله حسن اللب وعليه يترتب الذكر والفكر وما وراء ذلك من الخصائص.

وقال ﷺ لبعض أصحابه: رأيتك تكابد نفسك وتجاذب أمرك في مجاهدة نفسك فقلت لك: يا لُكع بن لكع أعني بذلك نفسي في الأبوة، ونفسك في البنوة محقك في التدبير حتى في اللقمة تأكلها، وفي الشربة تشربها، وفي الكلمة تقولها وتتركها، أين أنت من المدبر العليم السميع البصير الحكيم الخبير جل جلاله وتقدست أسماؤه أن يشاركه غيره إذا أردت أمرًا تفعله أو أمرًا تتركه، فاهرب إلى الله من ذلك هروبك من النار ولا تثبتن في شيء، واخرج إلى الله وعود نفسك ذلك فإن ربك يخلق ما يشاء ويختار ولن يثبت هناك إلا صديق أو ولي، فالصديق من له الحكم، والولي من لا حكم له، فالصديق يحكم بحكم الله، والولي يفنى عن كل شيء بالله، والعلماء يدبرون ويختارون ويجاهدون وينظرون ويقيسون فهم مع عقولهم وأوصافهم دائمون، والشهداء يكابدون ويجاهدون ويقاتلون فيقتلون ويقتلون ويحيون ويموتون، وقد ثبت لهم الرد معنى وإن لم يثبت لهم حسًّا ولا جسمًا، وأما الصالحون فأجسادهم مقدسة في أسرارهم الكرارة والمنازعة ولا يصلح شرح أحوالهم إلا لصديق في ابتداء أمره، أو لولي في نهايته، وحسبك ما ظهر من صلاحه واكتف به عن الشرح ما بطن من حاله، وإذا أردت أمرًا تفعله أو أمرًا تتركه فاهرب إلى الله كما قلت لك، واخرج بالله وعود نفسك ذلك، وقل: يا أول يا آخر، يا ظاهر يا

باطن أسألك بحق أسمائي بأسمائك، وصفاتي بصفاتك وتدبيري بتدبيرك، واختياري باختيارك، وكن لي بما كنت به لأوليائك وأدخلني في الأمور مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا، واحذر من سوء الظن بالله، وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين.

وقال ﷺ: رأيت كأني جالس مع رجل من أصحابي بين يدي أستاذي ﷺ فقال لي: احفظ عني أربعة فصول ثلاثة منها لك وواحدة لهذا المسكين: لا تختر من أمرك شيئًا واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار، ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨] وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه شيء، ولا بد لك منه، واسمع وأطع، وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهامي وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله لمن استوى فافهم فقرأ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٧-٦٨] وعليك بالزهد في الدنيا والتوكل على الله، فإن الزهد أصل في الأعمال، والتوكل رأس في الأحوال، واعتصم بالله، واستهدي بالله في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١١] وإياك والشرك والطمع والاعتراض على الله في شيء، واعبد الله على القرب الأعظم تحظ بالمحبة الاصطفائية والتولية والتخصيص من الله ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩].

ثم قال ﷺ: والذي قطع نفس هذا المسكين عن الوصلة بطاعته، وحجب قلبه عن تحقيق معرفته وشغل عقله عن شواهد توحيده أمران: دخوله في عمل دنياه بتدبيره، وفي عمل أخراه على الريب في مواهب محبوبه عاقبه الله بالحجاب، وترادف الارتياب، ونسيان الحسنات، وغرق في بحر التدبير والتقدير، ودلى فيه بولع التكدير ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٤] فارجعوا إلى الله في أوائل التدبير والتقدير تحظ منه بمدد التسيير، ويحال بينكم وبين التعسير، وكل ورع لا يثمر لك العلم والنور فلا تعد له أجرًا، وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله فلا تعدها وزرًا ثم أشار وقال: وخذ رزقك من حيث أنزلك الله باستعمال العلم ومتابعة السنة، ولا ترق قبل أن يلقى بك فتذل بك قدمك.

وقال ﷺ: هممت مرة أن أختار القلة في الدنيا على الكثرة ثم أمسكت وخشيت من سوء الأدب فلجأت إلى ربي فرأيت في النوم كأن سليمان عليه السلام على سرير جالس عليه وحوله عسكر ورفع لي عن قدوره وجفانه فرأيت أمرًا كما وصفه الله بقوله: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ:١٣] فنوديت لا تختر مع الله شيئًا، وإن اخترت فاختر العبودية لله إقتداءً برسول الله ﷺ حيث قال: عبدًا ورسولاً، وإن كان ولا بد فاختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار إلى اختيار الله، فانتبهت من نومي ثم رأيت بعدها قائلاً يقول لي: إن أحسن اختيار لك أن تقول: اللهم وسع عليّ الرزق من دنياي ولا تحجبني بها عن أخراي، واجعل مقامي عندك دائمًا بين يديك، وناظرًا منك إليك، وأرني وجهك وواريني عن كل شيء دونك، وارفع البين بيني وبينك، يا من هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

وقال ﷺ: أشقى الناس من يعترض على مولاه، وأركن في تدبير دنياه، ونسي المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه.

الباب السابع والأربعون

في جهاد النفس

قال ﷺ: مراكز النفس أربع مركز للشهوة في الطاعات ومركز في الميل إلى المباحات ومركز في العجز عن أداء المفروضات: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥].

وقال ﷺ: إذا أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركه، واضربها بالخوف عند كل خطرة، وأشخصها في قبضة الله أينما كنت، واشك عجزك إلى الله كلما غفلت، فهي التي لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها فإن سخرت لك في قبضة ما فجدير بك أن تذكروا نعمة ربكم وتقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣].

وقال ﷺ: رأس النفس إرادتها، ويداها علمها وعدلها، وحلاها تدبيرها واختيارها.

وقال ﷺ: موت النفس بالعلم والمعرفة والاقتداء بالكتاب والسنة.

وقال ﷺ: إن من أعظم القربات عند الله مفارقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من جناتها، وإن من أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد، فطالب نفسك بإكرامك لهم ولا تطالبهم بإكرامهم لك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء:٨٤].

وقال ﷺ: ليس شيء أشد وأشق في العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وفهم المعاني وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله ﷻ وهو موضع الإخلاص والعزيمة على العمل بما به يرجى، وهو موضع الصدق ونهوض السر عن الدنيا وعن كل شيء سوى الله، وهو موضع النية.

وقال ﷺ يحكي عن أستاذه أنه قال: الأنفس ثلاثة: نفس لم يقع عليها البيع لحريتها، ونفس وقع عليها البيع لشرفها، ونفس لم يقع عليها البيع لخبثها، فالتي لم يقع عليها البيع لحريتها أنفس الأنبياء، والتي وقع عليها البيع لشرفها أنفس المؤمنين، والتي لم يقع عليها البيع لخبثها أنفس الكفار. قال: وقلت لأستاذي رحمه الله: فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تقدم منهما الشرك، قال: هما على الحرية وإنما هما كمن أسراء، وهم أحرار.

وقال ﷺ: رأيت رجلاً من أصحابي يحرضني أن أكتب كتابًا إلى القاهرة في أمر يوجب البراءة للنفس، فرأيت صورة جميلة دخلت علينا لا أشك من قبل الحق فقال: من قدس برحمة الرحمانية في إطار الأزلية لا يتغير بالأحوال ولا ينحصر بالأقوال ولا يتزيد بالأفعال، والنفس مع الروح كالأصل مع الظل والظل يميل والأصل لا يميل، والروح سر والسر برقة وهو شعاع الحقيقة الصغرى، والسر نور من نور السر الأعلى، وكل هذا مخلوق بقدرة الله موقوف، لا يستفزك غير هذا فتشقى في جهنم من باب البعد تلقى، والعقل الأصلي ميدان التجلي، فإن أردت ذلك فعليك بالتخلي، واقتد بمن هو مصلي الصلاة صلة بين العبد وربه، وانظر أي عبد هذا فمن لم تكن صلاته له مواصلة كانت له مفاصلة.

وقال ﷺ: قد يئست من منفعة نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي، ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي.

وقال ﷺ: يا عبد الله انتزع من مجاذبة النفس وإرادة الشيطان وطاعة الهوى وحركة الزمنى تكن صالحًا، واتق الله في الخطرة والهمة والفكرة وحركة السر تكن

صديقًا، وإن تكرر عليك شيء من ذلك فاهجر الأسباب والأوطان والأخدان ومواقع الفتن تكن مهاجرًا، وإن واقعت شيئًا من ذلك فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه واستغث به تكن مؤمنًا، واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والذكر وتلاوة القرآن والتبري من الحول والقوة سلاحًا تكن سالمًا، وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصنًا وإن دخل عليك فسلم الأمر لله وعليك بالتوحيد والإيمان والمعرفة والمحبة لله وغرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك.

وقال ﷺ: رأيت كأني بين يدي العرش فقلت: يا رب يا رب، فقال: لبيك لبيك عبدي، فقلت: يا رب، فاهتز العرش، فقلت: يا رب فاهتز اللوح والقلم، فقلت: أسألك العصمة فأعوذ بك من دواعي النفس والهوى والشهوة والشيطان والدنيا فإنهن يسقطن من أعلى عليين إلى أسفل سافلين في أسرع من لمح البصر، وأنت أعلم بذلك ولا حول ولا قوة إلا بك.

وقال ﷺ: رأيتني في الملكوت الأعلى تحت العرش في أرض فيها خلق كثير فأرسل كلب على صيد هناك فأخذ الصيد، وتقدم رجل فأخذ الصيد من الكلب فقال أجمع علماء الأمة: على إباحة هذا الصيد وأنه حلال، وإنما ذلك يستحب إمساكه على سيده، ثم نمت فرأيت كأنا اجتمعنا في موضع آخر ورأيت كأني خصصت بالدخول على الملك الحق وكأني بين يديه بلا مكان فقلت: يا رب هذا الرجل لا يأتيني بشيء رآه إلا وأجد فيه تعقيدًا، فإذا على هذا الباب عبد يطلب الفقه عن الله بالفطنة فيتعرف إليه بالكياسة ولم يعلم أن ذلك طرف من الرياسة، وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة، ورياسة الصديقين من أربعة أوجه: من العلم، والعمل، والفقر، والتبري من الحول والقوة، علموا أن العلم أفضل الدرجات وأن الجهل أقبح الصفات فعلموا وعملوا بها تعلمون، بل علموا أن ذلك لا يتم أيضًا إلا بالفقر إلى الله تعالى في كل شيء فعلموا وعملوا ولو فقهوا لعملوا لما يعلم الله منهم، فالكلب أفقه منهم لأنه نهض لمراد سيده لا لمراد نفسه، فأجمعت الأمة على أن صيده حلال، فأخطؤا بذلك طريق القصد إلى الله وأصابوا طريق العمل الصالح، ثم نمت فقلت: ما طريق القصد إلى الله؟ فنادى عليّ: انظر وجودك أكنت لنفسك بشيء قبل وجودك؟ بل كان الله لك بفضله، انظر إلى وجودك في بطن أمك أكنت إلى وجودك

بشيء؟ بل الله كان لك بفضله، فكم عرفت فضل الله عليك في حركة من حركاتك وأنت تعلم أنها من فضل الله عليك، فإذا اعترضك شيء من عملك وكسبك فغرقها في فضل الله عليك قبل أن تغرقك.

وقال ﷺ: سألت أستاذي -رحمه الله- عن قول النبي ﷺ: «المؤمن لا يذل نفسه»[1] فقال لي: لهواه.

وقال لي ﷺ: يوصف بالبخل والذم من متع لأجل شيء من هذه الأوصاف خوف الفقر، وسوء الظن، والاحتقار لخدمة المؤمنين، وإيثار النفس والهوى.

وقال ﷺ: ارحم الناس بالناس عبد يرحم من لا يرحم نفسه.

وقال ﷺ: هل تدري ما علاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بحقائق المشاهدات؟ علاجه أربع: طرح النفس على الله طرحًا لا تصحبه الحول والقوة، والتسليم لأمر الله تسليمًا لا يصحبه الاختيار مع الله، هذان علاجان باطنان وفي الظاهر: ذم الجوارح عن المخالفات، والقيام بحقوق الواجبات، ثم تقعد على بساط الذكر بالانقطاع إلى الله عن كل شيء سواه لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٨].

وقال ﷺ: من طلب الحمد من الناس بترك الأخذ من الناس، إنما يعز نفسه من الناس وليس من الله في شيء من علمه.

الباب الثامن والأربعون

في الذنب

قال ﷺ: من أراد أن لا يضره ذنب فليقل: أعوذ بك من عذابك يوم شعث عبادك، وأعوذ بك من عاجل العذاب، ومن سوء الحساب، وإنك لرءوف رحيم، رب إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا فاغفر لي وتب عليّ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

---

(١) ذكره سيدي زروق في «قواعد التصوف» القاعدة (٩١).

وقال ﷺ: تفكرت في ذنوبي فنادى عليّ: نسيت عهدي وغفلت ودي وذكرت ما تقربت به إليّ ونسيت ما توددت به إليك، أين كنت من ذكري وعلمي ومشيئتي قبل الفعل ثم أبرزتك بقدرتي وتخصيص إرادتي على علمي؟

وقال ﷺ: إن أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقه هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا الله اللهم ثبت علمها في قلبي، واغفر لي ذنبي، واغفر للمؤمنين والمؤمنات ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

الباب التاسع والأربعون

في الدنيا

قال ﷺ في قول بعضهم: أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت، وأف لحسراتها إذا أدبرت، والعاقل لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً، وإذا أدبر كان حسرة، قال له القائل: قد طلبوا و أخذوا قال: من أخذ من الدنيا شيئًا حلالاً بشرط الأدب سلم قلبه من التكدير ومن نار الحجب.

والأدب نوعان: أدب السنة، وأدب المعرفة، فأدب السنة الأخذ بالعلم على سبيل القصد وحسن النية، وأدب المعرفة مصحوب بالإذن والأمر والقول والإشارة الثابتة من الله، فالإشارة: تفهيم من الله لعبده عن نور جماله وجلاله.

وقال ﷺ: إلهي إن الدنيا حقيرة حقير ما فيها، وإن الآخرة كريمة كريم ما فيها وأنت الذي حقرت الحقير وكرمت الكريم فأنى يكون كريمًا من طلب غيرك؟ أم كيف يكون زاهدًا من أختار الدنيا معك؟ فحققني بحقائق الزهد وعدم طلب الغير وبمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلبك، إلهي كيف يفوتك من هرب منك؟ فاطلبني برحمتك ولا تطلبني بنقمتك يا رحيم يا منتقم إنك على كل شيء قدير.

وقال ﷺ: لا كبيرة عندنا أكبر من اثنتين حب الدنيا بالإيثار والمقام على الجهل بالرضا لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والمقام على الجهل أصل كل معصية.

وقال ﷺ: لأن يغنيك الله عن الدنيا خير لك من أن يغنيك بها فوالله ما استغنى

بها أحد قط، وكيف يستغني بها بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧].

وقال ﷺ: دخل عليّ شخص وأنا بالمغرب في مغارة فقال لي: قيل لي إن عندك الكيمياء فعلمني، فقلت له: أعلمها لك ولا أغادرك منها حرفًا إن كنت قابلاً وما أراك قابلاً، فقال لي: إني والله أقبل، فقلت له: أسقط الخلق من قلبك، واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير ما سبق لك، فقال لي: ما أطيق هذا، فقلت له: ألم أقل لك إنك لا تقبل؟ فانصرف.

وقال ﷺ: برهان المغفرة والرحمة والتوبة ودوام الكرامة في الدنيا والآخرة ثلاثة: سقوط الدنيا عن قلبك مع عدم الإصرار بلا تكلف من نفسك، وارتباط السر مع دوام الأنفاس بربك وبرهان الارتباط في التبري، والخروج عن الحول والقوة.

وقال ﷺ: أربعة أشياء كن بها وادخل متى شئت لا تتخذ من الكافرين وليًّا، ولا من المؤمنين عدوًّا، وارتحل بقلبك عن الدنيا، وعد نفسك في الموتى، واشهد لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة وحسبك عملاً، وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر كله وبالكلمات المتفرقة عن كلمته ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] ونقول كما قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ومن كان بهذه الأربعة ضمن الله له أربعة في الدنيا وأربعة في الآخرة: الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والرزق كالمطر، والوقاية من الشر، هذه في الدنيا، وفي الآخرة المغفرة العظمى، والقربة الزلفى، ودخول جنة المأوى، واللحوق بالدرجة العليا، وأربعة في الدين: الدخول على الله، والمجالسة معه، والسلام من الله، ورضوان من الله أكبر، فإذا أردت الصدق في القول فأعن على نفسك بقراءة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، وإن أردت الإخلاص فأعن على نفسك بقراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، وإن أردت الرزق فأعن على نفسك بقراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، وإن أردت السلامة من الشر فأعن على نفسك بقراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] .

وقال ﷺ: رأيت في النوم طائفة من الغزلان يصطادها الناس لم أر أقبح منهم، فتمكن الصبيان وجعلوا يلعبون بها فاستيقظت وتعجبت منها، ثم نمت فرأيت رجلاً جميل الصورة يقول لي: أجرى الحيوان وامنعها الغزلان، ولقد رأيتها تصاد

فيلعب بها الصبيان فكذلك أسبق الرجال جريًا أهل العلم والعرفان، ولقد رأيت الناس والدنيا تأخذ بعقولهم فيلعب بهم الشيطان، فاحذر الناس والدنيا والتزم الصدق والتقوى واهجر مواطن الشر تحظ بالدرجات العلا.

وقال ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ يقول لي: أربع ليس معهن من الفقه لا قليل ولا كثير: حب الدنيا، ونسيان الآخرة، وخوف الفقر، واليأس.

وقال ﷺ: أخس الناس منزلة من بخل بالدنيا على من لا يستحقها، فكيف من بخل بها على من يستحقها؟

وقال ﷺ: رأيت كأني أنظر في المحل الأعلى فقلت: إلهي أي الأحوال أحب إليك، وأي الأقوال أصدق لديك، وأي الأعمال أدل على محبتك فوفقني واهدني فقيل لي: أحب الأحوال إليه الرضا بالمشاهدة، وأصدق الأقوال لديه قول لا إله إلا الله على النظافة، وأدل الأعمال على محبته بغض الدنيا واليأس من أهلها مع الموافقة.

وقال ﷺ :انزع حب الدنيا بالإيثار، وعن المعصية بالإصرار، وداوم على مسايرة الرحمة اللدنية، واستغن بها عن الفعلية، ولا تعلق قلبك بشيء تكن من الراسخين في العلم الذين لا يغيب عنهم سر ولا علم، فإن خطر بقلبك خطرات المعصية والدنيا فالقها تحت قدميك حقارة وزهدًا، واملأ قلبك علمًا ورشدًا، ولا تسوف فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها، ثم لابد من معانقتها إما بالهمة والفكرة أو بالإرادة والحركة، فعند ذلك يتحير اللب فيكون العبد ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام:٧١] ولا هدى إلا لمن اتقى، ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا، ولا إعراض عن الدنيا إلا لمن هانت عليه نفسه، ولا تهون النفس إلا عند من عرفها، ولا يعرفها إلا من عرف الله، ولا يعرف الله إلا من أحبه، ولا يحبه إلا من اصطفاه واختاره وحال بينه وبين نفسه و هواه، وقل: يا الله، يا مدبر يا مريد، يا عزيز يا حكيم، يا حميد يا الله، يا رب يا ملك يا موجود، يا هادي يا منعم، هب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وانعم على عبدك بنعمة الدين، وبالهداية إلى صراط مستقيم ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣] بحرمة هذا الاسم الأعظم آمين.

وقال ﷺ: إذا توجهت إلى شيء من عمل الدنيا والآخرة فقل: يا قوي يا عزيز، يا عليم يا مدبر، يا سميع يا بصير.

وقال ﷺ: إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩].

وقال ﷺ: دخل عليّ في المغرب أحد كبراء الدولة فقال لي: ما أرى لك كثير عمل فبم فقت الناس وعظموك؟ فقلت له: لي حسنة واحدة افترضها الله على نبيه تمسكت بها، فقال: وما هي؟ فقلت له: الإعراض عنكم وعن دنياكم، قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم:٢٩].

وقال ﷺ: أيها الحريص على سبيل نجاته، الشائق إلى حضرة حياته اجتنب الاستكثار في ما أباحه الله لك، ودع ما لا يدخل تحت علمك مما أحله الله لك، وبادر إلى فرائضك فاترك ما اشتغل الناس به شغلاً بمراعاة سرك، ففي ترك الاستكثار الزهد، وفي بذل ما لا يدخل تحت علمك الورع بقوله ﷺ: «**البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس بغير ذلك**»[١] ، وأهملهم وفي الاشتغال بمراعاة السر الإشراف على حقائق الإيمان، فإن كنت تاجرًا كيسًا فدع ما تريد لما يرد بشرط الرضا بجميع أحكامه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] الدنيا حرامها عقاب وحلالها حساب «حسب بن آدم»[٢] الحديث.

والدنيا التي لا حساب عليها في الآجل ولا حجاب معها في العاجل هي التي لا إرادة فيها لصاحبها قبل وجودها ولا معها لها مع وجودها ولا أسف عليها عند فقدها، والحر الكريم من يأخذها منه على المواجهة ويدعها به على المواجهة لا أثر للأغيار على قلبه.

وقال ﷺ: فتح الله عليّ مرة بشيء من الدنيا ففرحت لأستعير وأعير بها، فجعلت أحمد الله وأشكره والشكر معرفة قائمة بالقلب، والحمد كلمة قائمة باللسان فكنت أجمع بينهما فواظبت على ذلك وقتًا من الليل، فنمت ورأيت أستاذي يقول:

---

(١) رواه الدارمي في السنن ٢/ ٣٢٠.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٢٨.

أستعيذ بالله من شر الدنيا إذا أقبلت، ومن شرها إذا أدبرت، ومن شرها إذا أنفقت، ومن شرها إذا أمسكت، فجعلت أقول: أعوذ بالله من شر الدنيا إذا أقبلت، وأعوذ من شرها إذا أدبرت، فوصل الشيخ كلامي فقال: ومن المصائب والرزايا والأمراض البدنية والقلبية والنفسية جملة وتفصيلاً بالكلية، وإن قدرت بشيء فألبسني حلل الرضا والمحبة والتسليم وأثواب المغفرة والتوبة والإنابة المرضية.

وقال ﷺ: رأيت الصديق ﷺ في النوم فقال: هل تدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب فقلت: لا، فقال: تركها عند الوجد ووجدان الراحة منها عند الفقد.

الباب الخمسون
في الدين

قال ﷺ: إذا تداينت فتداين على الله، وإذا تداينت على الله فعلى الله أداؤه وحمل أثقاله، وإن تداينت على نفسك أو على معلوم هو لك ثقل عليك أداؤه، وربما سوفت أو ضيعت أو ماطلت أو هويت أو قدمت أو أخرت أو ظلمت أو كذبت فخسرت وما ربحت، فقلت: وكيف أتداين على الله؟ فقال: بقطع النفس عن الجهات، وانتزاع القلب عن العادات، وتعلقه بمن ملك الأرض والسماوات وقل: اللهم عليك تداينت، وباسمك الذي حملتني به حملت، وعلى الله توكلت، وإليه أمري فوضت، وأعوذ بك من الدخول في كوى الجهل والنفس، وفي العادات والبين والدنس والرجس، فإن عارضك عارض من معلوم هو لك فاهرب إلى الله منها هروبك من النار خوفًا أن يصيبك، وقل: أعوذ بك من النار، ومن عمل أهل النار، فأنقذني واغفر لي يا عزيز يا غفار، فهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة، فاعزب عن نفسك واحتسب أجرك على الله.

الباب الحادي والخمسون
في المصائب

قال ﷺ: المغبون في الدنيا والآخرة من أصحاب مصائب الأجور بمصائب الثبور من مساخط الله والرضا عن الله ثوابه الرضا من الله، أو ترضى عن الله يرضى عنك وإن سخطت قضاء الله يسخط عليك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩].

وقال ﷺ: حد السخط ما لم يرد الله بالحكم.

وقال ﷺ: من آمن بالقسمة حرام عليه أن ينازع في الحكمة.

وقال ﷺ: كل مصيبة يرتجى ثوابها ولا يخاف عقابها فليست بمصيبة إنما المصيبة ما لا يرجى ثوابها ويخاف عقابها.

وقال ﷺ على مصيبة نزلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واعقبني خيرًا منها قال: فألقي إليّ أن أقول: واغفر لي سيئها، وما كان من توابعها، وما اتصل بها، وما هو محشو فيها، وكل شيء كان قبلها، وما يكون بعدها، فقلتها فهانت عليّ فلو أن الدنيا كلها كانت لي في ذلك وأصبت فيها لهانت علي، ولكان ما وجدت من برد الرضا والتسليم أحب إليّ من ذلك كله.

وقال ﷺ: رأيت في النوم صائحًا يصيح من جو السماء إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك وهي خمس لا سادس لها، فاتق الله أينما كنت ولا تعدل بالتقوى شيئًا فإن العاقبة للمتقين والله يحب المتقين، فبحقي يحبهم ويحبونه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقل أعوذ بالله من سوء القضاء، ومن جزع النفس عند ورود البلاء، ومن الفرح والحزن والهم والغم في الشدة والرخاء.

وقال ﷺ: سمعت قائلاً يقول: ما صبر من جزع، ولا سلم من تكلف، ولا رضي من سأل، ولا فوض من دبر، ولا توكل من دعا، وهي خمس وما أحوجك بخمس أن تموت عليها وقل: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] فزدني من فضلك وإحسانك واجعلني من الشاكرين لنعمائك.

وقال ﷺ: علامة التفويض عدم الاضطراب عند نزول المكاره.

وقال ﷺ: بت في هم المسلمين من الترك هل أدعو عليهم أم لا؟ فرأيت أستاذي رحمه الله يقول: قوم أجل لهم فاصبروا أو اسكتوا وارضوا وسلموا وفوضوا وتوكلوا واتقوا وأحسنوا ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أمدبرًا غير الله تريدون أم حكمًا غير حكمه تلتمسون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، قد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون يؤذون ويظلمون وما أقل استعجالهم ودعاءهم على الظالمين بمعرفتهم بالله رب العالمين، وإن دعا منهم داع فبإذن من الله لا عن ضيق وسخط لقضاء الله.

وقال ﷺ كل شهوة تدعوك إلى الرغبة في مثلها فهي عدة للشيطان وسلاحه، وكل شهوة تدعوك إلى طاعة الله والرغبة في سبيل الخيرات فهي محمودة، وكل حسنة لا تثمر نورًا وعلمًا في الوقت فلا تعتد لها أجرًا، وكل سيئة أثمرت خوفًا وهربًا إلى الله ورجوعًا إليه فلا تعتد لها وزرًا.

وقال ﷺ وقد شكا إليه الناس ما هم فيه من الظلم فقال: اللهم إنا برآء من جور الجائرين و الظالمين، وإنا محبون لعدلك فلا تجره علينا بسخطك، إنك على كل شيء قدير.

وقال ﷺ يحكي عن أستاذه أنه قال: سيئتان قل ما تنتج معهما كثرة الحسنات، السخط لقضاء الله، والظلم لعباد الله، وحسنتان قل ما تضر معهما كثرة السيئات الرضا بقضاء الله والصفح عن عباد الله.

وقال ﷺ: يا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه أجرني مما أرهقني فقيل: لا تهرب إلى الله في الجزع والسخط فيمقتك الله، فقلت: ضيق عليّ هذا الأمر، فقال: نحن قدرنا عليك لنربيك ونعلمك ونريك، ثم قال: انف المنافع والمضار عنهم لأنها ليست منهم واشهدها منى فيهم، وفر إلى منهم بشهود القدر الجاري عليك وعليهم أو لك أو لهم، ولا تخفهم خوفًا تغفل به عني وتنساني وترد القدر إليهم، وكل خوف يردك إلى الله رد الرضا فصاحبه محمود، وكل خوف يردك إلى غيره فصاحبه مذموم أو ناقص ملوم، فإن وصل إليك شيء بقدر الله بسببهم فكن صابرًا أو مسلمًا أو راضيًا أو شاكرًا أو محبًّا أو منيبًا.

وقال ﷺ: كنت بالمنصورة ليلة، فلما كان ليلة الثامن من ذي الحجة بت في هم من أمر المسلمين ومن أمر الثغر - أعني الإسكندرية خصوصًا - وكنت أدعو وأتضرع في أمر السلطان والمسلمين، فلما كان آخر الليل رأيت فسطاطًا واسع الأرجاء عاليًا في السماء يعلوه نور يزدحم عليه خلق كثير من أهل السماء، وأهل الأرض مشغولون عنه، فقلت: لمن هذا الفسطاط؟ فقالوا: لرسول الله ﷺ، فبادرت إليه بالفرح فلقيت على بابه عصابة من العلماء والصالحين نحوًا من السبعين أعرف منهم عز الدين بن عبد السلام، والفقيه الزين مدرس قوص، والفقيه الكمال بن القاضي صدر الدين، والفقيه المحدث محيى الدين بن سراقة، والفقيه الحكيم [مجد الدين علي بن وهب القشيري]، ومعهم رجلان لم أر أجمل منهما ولم أعرفهما غير أنه

وقع لي من حالة الرؤيا أنه الفقيه زكى الدين بن عبد العظيم المنذري المحدث، والشيخ مجد الدين الإخميمي، فبادرت إلى أن أتقدم إلى رسول الله ﷺ فألزمت نفسي الأدب والتواضع مع الفقيه عز الدين فقلت لنفسي: لا يصلح لك التقدم بين يدي عالم الأمة في هذا الزمان فتقدم الفقيه وتقدم الجميع ورسول الله ﷺ يشير إليهم يمينًا وشمالاً أن اجلسوا، وتقدمت وأنا أبكي بالهم والفرح، أما الهم فمن أجل المسلمين والثغر، وأما الفرح فلأجل قربي من رسول الله ﷺ للنسب، فمد يده وقبض على يدي وقال: لا تهتم كل هذا الهم من أجل الثغر وعليك بالنصيحة لرأس الأمر يريد السلطان، وإن ولِيَّ عليكم ظالم فما عسى وجمع أنامل أصابعه الخمس من اليد اليسرى كأنه يقلل المدة، وإن ولِيَّ عليكم تقي والله ولي المتقين وبسط يده اليمنى واليسرى، وإما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنين من أمرهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦].

وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما والى أهل ولايته ونصح المؤمنين من عباده وانصحه، وقل في الظالم عدو الله قولاً بليغًا واكتب له: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠] فقلت: ورب الكعبة وانتبهت.

الباب الثاني والخمسون
في الشر

قال ﷺ: أصول الشر ستة: استبدال إرادة الخير بإرادة الشر، واستبدال التعلق بالله بمخلوق دون الله، واستبدال حسن الظن بالله وكرمه بسوء الظن بالله ورسوله، وكمون الدعاوى وحب الدنيا ومتابعة الهوى.

وقال ﷺ: يقول الله: أنا وعزتي لك ما لم تستبدل إرادة الخير بإرادة الشر، وتستبدل حسن الظن بكرمي بسوء الظن، وتستبدل التعلق بالتعلق بمخلوق دوني، فإن فعلت ذلك تخليت عنك ووكلتك إلى نفسك ووليتك ما توليت، وأصليتك جهنم وساءت مصيرًا، فمن تاب، تاب الله عليه، ومن استغفر غفرت له وأنا الغفور الرحيم، ثم قال: وعزتي لولا خصلة فيك لأهلكت بذنوبك الأمة، فقلت: وما هي؟ قال: رحمتي أحب إليك من عقوبتي، واستغفارك أكبر لديك من معصيتي فبها

سبقت السابقين ولم أردك إلى المقتصدين ولم ألحقك بالظالمين، ثم قال: قل أعوذ بالله من كمون الدعاوى، وإرادة الدنيا ومتابعة الهوى، ثم قال: احفظ هذه الست فإنهن أصول الشر واستعذ بالله إنه هو السميع العليم.

وقال ﷺ: حصون القلب من الشر أربعة: ارتباط القلب مع الله وبغض الدنيا، وأن لا تنظر بعينك إلى ما حرم الله، وأن لا تنقل قدمك حيث لا ترجو ثواب الله.

وقال: إن أردت أن تغلب الشر كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق، وإن عمل ما عمل فقل: يا من له الخير كله أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله، فإنك الله الغني الغفور الرحيم أسألك بالهادي محمد ﷺ إلى ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣] مغفرة تشرح بها صدري، وتضع بها وزري، وترفع بها ذكري، وتيسر بها أمري، وتنزه بها فكري، وتقدس بها سري، وتكشف بها ضري، وترفع بها قدري إنك على كل شيء قدير.

وقال ﷺ: الصلاح أسهل شيء لمن يسره الله عليه لا تعلم في نفسك إرادة الشر وأنت من الصالحين.

وقال ﷺ: رأيت جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة من أجناد هذا الوقت فجعلت أنظر إلى هؤلاء تارة وإلى هؤلاء تارة، فخرج إليّ واحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي: أليس في ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وأعمالهم ما يغنيك عن ذكر هؤلاء وأفعالهم لكن هم الرزق، وخوف الخلق، ونصرة النفس، واتباع الهوى قطع عن الخير كله، ونصرة النفس إجابتها إلى محابها.

الباب الثالث الخمسون

في المعصية

قال رحمه الله: من فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا في باطنه، ولزم حفظ جوارحه أتته الزوائد من ربه، ووكل به حارسًا يحرسه من عنده، ويجمعه في شهود ويجمعه في سره، وأخذ الله بيده حفظًا ورفعة في جميع أموره، والزوائد زوائد العلم، واليقين والمعرفة.

وقال ﷺ: رأيت رجلاً يستوصيني فقلت: لا تتخذ المعصية وطنًا، ولا الدنيا فالحب لها وثنًا، واهجر النفس والهوى، واستنصر بالله فنعم المولى ونعم النصير، وعليك بالتحقيق في الإيمان، والشهود في الإحسان، والتزم كل ذلك علمًا تجد المزيد، واستمطر المزيد من الله ولا ترجو شيئًا سوى الله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٦٣] قال: فهل تجد لذلك من أسماء الله اسمًا فقلت: نعم يا الله، يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، كما أحسنت إليّ أولاً فأحسن إلي آخرًا ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠] قال: وما الذي أحسن به إليك أولاً فقلت له: أحسن إليّ بأربعة أشياء: بالتوحيد، والإيمان، والعقل، والبرهان فكما أحسن بالتوحيد أولاً أرجو أن يحسن آخرًا بالشهود، وكما أحسن بالإيمان أرجو أن يحسن بالإحسان، وكما أحسن بالعقل الفرعي أرجو أن يحسن بالعقل الأصلي، وكما أحسن بالبرهان أرجو أن يحسن بالعيان، فقال: أحسنت، أحسنت.

وقال ﷺ: هدي للسنة من آمن بالله واليوم الآخر، وأعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، وعزم على أن لا يعصي الله، وإن عصاه استغفر وتاب وأناب، وقلت: ما تاب وأناب، فقال: تاب من معصية الله، وأناب من طاعة الله إلى الله.

وقال ﷺ: إن أردت خير الدنيا والآخرة وكرامة المغفرة والرحمة والنجاة من النار والدخول إلى الجنة، فاهجر معصية الله، وأحسن مجاورة أمر الله، واعتصم بالله، واستعن واستغفر وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين، قال له القائل: اشرح لي كيف أتوكل على الله وكيف اعتصم بالله وكيف استعين به؟ قال: من تعلق بشيء أو توكل عليه واستند إليه واعتمد على شيء سوى الله فليس بمتوكل على الله، فالتوكل وقوع القلب والنفس والعقل والروح والسر والأجزاء الظاهرة والباطنة على الله دون شيء سواه، والاعتصام بالله التمسك به واللجأ إليه والاضطرار إليه، والحذر في الاعتصام بالله أن ترى قدرة أو إرادة أو حكمًا أو أثرًا في شيء على شيء، أو في شيء، أو من شيء، أو لشيء، وأما الاستعانة بالله أن لا تتخذ العلم سببًا ولا المسبب إليه سببًا ولا الأول والآخر، وغرّق الكل في العلم والقدرة والإرادة كما غرّقوا الدنيا في الآخرة والآخرة في السابقة والسابقة في الحكم، والحكم في العلم الأزلي، وأما الهجر للمعصية فاهجر حتى تنسى، وحقيقة الهجر: نسيان المهجور هذا في صورة الكمال

وإن لم يكن الأمر كذلك فاهجر على المكابدة والمجاهدة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأما حسن مجاورة أمر الله فبالذكر والفكر والحفظ والمبادرة والإيقان بأمر الله، وإذا عارضك ذنب أو نقص أو سهو أو غفلة فاستغفر الله من ظلمك لنفسك ومن سوء عملك لعظيم جهلك ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

وقال ﷺ: رأيت كأني في حدود عليين مع الملائكة المقربين في نعيم لا أبغي عنه بدلاً، فقالوا: سر إلى الزيادة فسرت معهم فدخلت موطنًا كريمًا لا أقدر على وصفه طامعًا في الشهود، فإذا أنا بشهود لا أقدر على وصفه، فقيل لي: من كففت جوارحه عن معصيتي، وزينته بحفظ أمانتي، وفتحت قلبه بمشاهدتي، وأطلقت لسان سره لمناجاتي، ورفعت الحجاب بينه وبين صفاتي، وأشهدته معاني أرواح كلماتي فقد زحزحته عن النار وأدخلته جنتي، وفاز بقربي وصحبة ملائكتي ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥] فهذه جنة معجلة لأهل الإيمان البالغ يقينًا، وسيدخلونها يوم الجزاء بأبدانهم ذوقًا وحسًا وعيانًا، ثم ناديتهم بالعبارة والإشارة باللطف والحقيقة ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧] .

الباب الرابع والخمسون

في الظلم

قال رحمه الله: اللهم ارحمني من معصيتك قولاً وفعلاً وذكرًا وفكرًا، فإن المحبَّ الأعلى يكرم المحبوب الأدنى، وأرني قدرتك في ذلك، فنمت فرأيت كأني بين يديه قال: إن أردت ذلك فابذل لي روحك ونفسك، فقلت: يا رب وما بذل الروح؟ قال لي: بذل الروح فيما تحب، وبذل النفس فيما تكره.

وقال ﷺ: الغل ربط القلب على الخيانة، والمكر والخديعة، والحقد مثله وهو الشد على ما تربط عليه أن لا تنساه ولا تغفل عنه.

وقال ﷺ: اتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلاً، وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلاً.

الباب الخامس والخمسون
في العقوبات

قال ﷺ: العقوبات أربعة: عقوبة بالعذاب، وعقوبة بالحجاب، وعقوبة بالإمساك، وعقوبة بالهلاك، إهلاك السر في المطلوب، فعقوبة العذاب من جهة المحرمات، وعقوبة الحجاب لأهل الطاعات فتكون عقوبة من جهة سوء الأدب، وعقوبة الإمساك تكون من جهة المراكنات، وعقوبة الإهلاك تكون من جهة الاستعجال والقلق، فربما بدل له ذلك فيهلك السر.

وقال ﷺ: لا تحتجب بالفضل عن المفضَل، قلت: يا رب كيف هذا؟ قال: اعلم أنه سبق وجودك وجود علمك، والشكر علمك وسبق وجودك ما ظهر بفضله عليك، وإن كنت بالفضل فأنت محجوب بالفضل عن المتفضل، وإن كنت عنده وبه فلا سابق ولا مسبوق، وإن كنت شاهدًا من وجودك إلى وجوده فأنت في حجاب العلم.

وقال ﷺ: لا تكن حظك من دعائك الفرح بقضاء حاجتك دون الفرح بمناجاة محبوبك فتكون من المحجوبين.

وقال ﷺ: من سبق نوره عقله فهو المبارك، ومن سبق عقله نوره فهو المسكين.

وقال ﷺ: رأيت شخصًا وهو يتحدث على أحوال الرجال ويتعرض عليهم فرأيت أستاذي يقول لي: هذا يموت أربع موتات: موتًا بالذل، وموتًا بالفقر، وموتًا بالحاجة إلى الناس، ثم لا يجد من يرحمه منهم، وموتًا بالأجل، ثم يموت مسلمًا.

وقال ﷺ: الحجب سبعة: حجاب العزة، وحجاب العلم، وحجاب القدرة، وحجاب الكبرياء، وحجاب النور، وحجاب الظلمة، وحجاب الفناء والبقاء.

الباب السادس والخمسون
في الشفاعة

قال ﷺ لرجل قد أحاط به الهم والغم حتى كاد يمنعه من الأكل والشرب والنوم: يا ابن فلان اسكن لقضاء الله، وعلق قلبك بالله، ولا تيأس من روح الله، وانتظر الفرج من الله، فإياك والشرك بالله، والنفاق مع رسول الله ﷺ، وسوء الظن بالله، فإنها موجبة لدوائر السوء من الله وغضبه لعنه وإعداد ناره ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦] قال: فرأيته أسيرًا مربوطًا بين يدي رسول الله ﷺ وهو

يتلو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال:٧٠] فقلت: ما النفاق مع رسول الله ﷺ؟ قال: التظاهر بالسنة، والله يعلم منك غير ذلك، قلت: وما الشرك بالله؟ قال: اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله ﴿لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة:٥] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الزمر:٤٣].

قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا»[1] وقال في حق بحق حيث أمرك الله ورسوله بحق، وقد تبين لك حق البيان بقوله: «تؤجروا» فمن شفع في المعصية، أو في طلب النجاة والمنزلة، أو في طلب الدنيا بالرغبة لا يؤجر، بل يعذب على ذلك ويتوب الله على من يشاء، قلت: فما سوء الظن بالله، قال: من رجا غير الله واستنصر بغير الله آيسًا من الله أن ينصره فقد ساء ظنه بالله ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:١٥].

وقال ﷺ: الشفاعة نور من نور الله تظهر على جوهر رسول الله ﷺ فيجد الروح والراحة به كل أحد من عباد الله ولا يجهلها من كفر ولا من آمن ولا شيء من خلق الله، أما المؤمن فيستمر به ذلك ولا يُخزَى لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [التحريم:٨]، وأما الكافر فتمر به كالبرق ليعلم ما فاته ثم يرد إلى عذاب عظيم ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤١].

وقال ﷺ: الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوة فتنبسط من جوهر النبوة إلى الأنبياء وتندفع الأنوار من الصديقين والأنبياء إلى الخلق.

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٥٢٠.

الباب السابع والخمسون
في الوصية

قال ﷺ: أوصاني أستاذي أن خف الله خوفًا تأمن به من كل شيء، واحذر على قلبك أن يأمن من الله في شيء فلا معنى للخوف من شيء ولا للأمن من الله في شيء، وجدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، وقريبًا من كل شيء ومحيطًا بكل شيء بقرب هو وصفه وبإحاطة هي نعته وعد عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب بالمسافات، وعن الدون بالمخلوقات، وامحق الكل بوصفه الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو هو كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.

وقال ﷺ: أوصاني حبيبي: لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبًا من معصية الله، ولا تصاحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطفي لنفسك إلا من تزداد به يقينًا بالله وقليل ما هم.

وقال ﷺ: مما يحكي عن أستاذه أنه قال: الله الله والناس الناس، نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التمايل من قبلهم، وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية الله عندك، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك، وقد تم ورعك، وقل: اللهم أرحني من ذكرهم، ومن العوارض من قبلهم، ونجني من شرهم، واغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني بالخصوصية من بينهم، إنك على كل شيء قدير.

وقال ﷺ: أوصاني أستاذي ﷺ فقال لي: اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فإن شرهم يصيبك في بدنك وخيرهم يصيبك في قلبك، ولأن تصاب في بدنك خير لك من أن تصاب في قلبك.

قال ﷺ: لعدو يرجع به إلى مولاك خير من حبيب يشغلك عن مولاك.

وقال ﷺ: هزأ بدينه من غفل عن قلبه، واتخذه لعبًا من اشتغل بخلقه.

وقال ﷺ: قلما سلم من النفاق عبد يعمل على الوفاق.

وقال ﷺ: اجتمعت برجل في سياحتي فأوصاني فقال: ليس شيء من الأقوال أعون على الأثقال من لا حول ولا قوة إلا بالله وليس شيء في الأفعال أعون من

الفرار إلى الله والاعتصام بالله ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠]، واعتصموا بالله ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران:١١]، ثم قال: بسم الله فررت إلى الله واعتصمت بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله ومن يغفر الذنوب إلا الله، بسم الله قول باللسان صدر عن القلب ففروا إلى الله وصف الروح والسر واعتصمت بالله وصف العقل والنفس ولا حول ولا قوة إلا بالله وصف للملك والأمر ومن يغفر الذنوب إلا الله رب، أعوذ بك من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ثم تقول للشيطان هذا علم الله فيك وبالله آمنت وعليه توكلت، وأعوذ بالله منك، ولولا ما أمرني ما استعذت منك، ومن أنت حتى أستعيذ بالله منك.

وقال ﷺ: استوصيت أستاذي ﷺ فقلت: أوصني، فقال: لا تتهم الله في شيء، وعليك بحسن الظن به في كل شيء، ولا تؤثر نفسك على الله في شيء.

وقال ﷺ: الزم بابًا واحدًا تفتح لك الأبواب، واخضع لسيد واحد تخضع لك الرقاب قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر:٢١] فأين تذهبون؟

وقال ﷺ: يوصي بعض أصحابه عند سفرهم فقال: ارجوا الله أن يمدكم في سفركم بالتيسير في أرزاقكم، وبالصحة في أبدانكم، وبالعز بين أمثالكم، وبالمغفرة لذنوبكم، وتنزلون على أربعة أشياء: القبول من الخلق، والرضا عن الحق، والغنى عن الكثرة، والهناء مع القلة، فلا ترغبوا فيها لكم فتعاقبوا بالطلب لغيركم وهذا أدنى عقوبة الراغبين، وأعظمها الحجاب عن رب العالمين، وعليكم بأربعة: بالألفة، وحسن الصحبة، والقيام بالفريضة، والتوكل على الله في كل حركة، والرباط الرباط ثم الرباط على ثلاثة أشياء: لا تتهم الله في شيء، وعليك بحسن الظن به لكل حركة، ولا تؤثر نفسك على الله في شيء وتفسير الإيثار إذا اعترضك حقوق ربك وحظوظ نفسك فلا تؤثر الحظوظ على الحقوق ففي الإيثار للحقوق محبة الله، وإذا اعترضك مندوب ومكروه فلا تؤثر المكروه على المندوب ففي الإيثار للمندوب محبة رسول الله ﷺ ولن يسهل ذلك إلا على عبد لا يحب إلا الله وحده أو أحب ما أمر الله تعالى به شرعًا لدينه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الباب الثامن والخمسون
في الوسائل

قال رحمه الله: الوسائل كلها في أربعة في الأبدان والأموال والعقول والقلوب قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر:٤٣-٤٦] فالصلاة للأبدان والإطعام للأموال والخوض للعقول والتكذيب للقلوب.

وقال ﷺ في بعض رسائله: الحمد لله الذي متع قلوب أوليائه بأنوار حضرته وأحرزها من خطرات الإلقاء بنجوم معرفته، وأوقف الملائكة في الملأ الأعلى ناظرة لربها وخروا سجدًا بالإذعان ورؤية التخصيص بها في سائر أيامها، وجعلهم ينابيع الحكم الكبرى إذ هم يأخذونها من بارئها فهم هم ولا هم، هم من حيث الوجود والحق، ولا هم من حيث الوجود والخلق كملوا إذ حملوا فصاروا حاملين بأوصاف الحق، وحاملين لأوصاف الخلق إذا نظرتهم من جهة الخلق رأيت أوصاف البشر، وإن نظرتهم من جهة الحق رأيت أوصاف الله وزينته، ظاهرهم الفقر وباطنهم الغنى تخلقًا بأخلاق نبيهم ﷺ إذ قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨] أفتراه أغناه بالمال؟ كلا وقد شد الحجر على بطنه من شدة الجوع، وأطعم الجيش من صاع، وخرج من مكة على قدميه، ونهض فوق السماوات العلى ورجع إلى منزله من ليلته، فانظر للأمرين وإلى كماله فيهما، وإن قلت: بشر، قلت لك: نعم بشر لا كالبشر، كما تقول في الياقوت حجر لا كالأحجار، إذ هو عين الله الكبرى في خلقه كذلك فأعطي الأولياء التنزيه بين الخلق؛ إذ هم بالله لله بلا علة منهم إليه كما لا علة منه إليهم، وفهموا ما قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»[1] وهو الآن على ما عليه كان، وكان الله ولا شيء معهم كما كان الله بلا شيء معه، فهذا هو التخصيص فليت العلماء علموا علم فقرهم وذلهم إلا من حيث الأضداد يعلمون ذلك، وأما ما ظهروا به من الغنى والعزة فلا سبيل إلى ذلك إلا لقطب أو خليفة أو أمين فسواء منهم من أصر القول أو جهر به فإنهم أمناء والأمين لا يكون خائنًا فاحبس على الأمر يدك وعض عليه نواجذك ولا تكترث لحسادك، فمن أحب أن يقل حساده فكأنه أحب أن تقل لديه نعم الله، وإنما قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] حتى قال: ﴿وَمِن

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٦٣)، ورواه البخاري (٢٩٥٣، ٦٨٦٨)، بنحوه.

﴿شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] كأنه قال: سلني أن أكفيك شر حاسدك ولا تسألني أن أقطعهم بالكلية فإن الحاسد مع النعم ولا تذمّن نعمي عليك، فعسى الشفاء يقع بالخطاب ولا يطمع أنه يقع بالكتاب.

الباب التاسع والخمسون
في الخصوص والعموم

اعلم أن العلوم التي وقع الثناء على أربابها وإن جلت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين غرقوا في بحر تيار الذات وغموض الصفات فكانوا هناك بلا هم وهم الخاصة العلياء الذين يشاركون الأنبياء والرسل في مراتبهم وإن جلت مراتب الأنبياء والرسل فلهم منها نصيب، أو ما من نبي ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث، وكل وارث على قلبه قدر إرثه من مورثه فقال النبي ﷺ: **«العلماء ورثة الأنبياء»**[1] ولا يكون وارث إلا وله نصيب معلوم من مورثه يقوم مقامه على سبيل إرث العلم والحكمة لا على سبيل التحقيق بالمقام والحال، فإن مقامات الأنبياء قد جلت أن يلج حقائقها غيرهم، وكل وارث في المنزلة بقدر مورثه يقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥] فكما فضل بعض الأنبياء على بعض كذلك فضل بعض الأولياء على بعض إذ الأنبياء أعين الحق، وكل عين مستمد منها على قدرها، وكل ولي له مادة مخصوصة فانقسم الأولياء على ضربين: ضرب منهم هم أبدال الأنبياء، وضرب منهم أبدال الرسل فأبدال الأنبياء الصالحون، وأبدال الرسل الصديقون فبين الصالحين والصديقين في التفضيل كما بين الأنبياء والمرسلين فمنهم ومنهم، غير أن منهم طائفة أبصروا بالمادة من رسول الله ﷺ يشهدونها عين يقين لكنهم قليلون، وهم في التحقيق كثيرون، وكل نبي وولي مادته من رسول الله ﷺ، فمن الأولياء من يشهد عينه ومنهم من يخفى عليه عينه ومادته فيفنى فيما يرد عليه ولا يشتغل بطلب مادته، بل هو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته، ومنهم الذين أمدوا بالنور الإلهي فنظروا به حتى عرفوا أمرهم على التحقيق وذلك كرامة لهم لا ينكرها إلا من ينكر كرامات الأولياء فنعوذ بالله من النكران بعد العرفان وهم الذين أخذوا طريقًا لم يأخذه غيرهم إذ الطريق طريقان: طريق خاصة، وطريق عامة، وأعني بالخاصة المحبوبين الذين هم أبدال الرسل، وبالعامة المحبين

---

(١) رواه أبو داود ٣/ ٣١٧.

الذين هم أبدال الأنبياء فعلى جميعهم السلام فأما طريق الخاصة فهو طريق علوي تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها ولكن عليك بمعرفة طريق العامة وهو طريق الترقي من منزل إلى منزل إلى أن ينتهي إلى منزل وهو مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأول منزل يطؤه المحب للترقي فيه إلى العلا فهو النفس فيشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن ينتهي إلى معرفتها فإذا عرفها وتحقق فهنالك تشرق عليه أنوار المنزل الثاني وهو القلب فيشتغل بسياسته إلى أن يصل إلى معرفته، وإذا صح له ذلك ولم يبق عليه منه شيء رقا إلى المنزل الثالث وهو الروح فيشتغل بسياسته ومعرفته فإذا تمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئًا شيئًا حتى إذا أنست بصيرته بترادف الأنوار عليها برز اليقين عليه بروزًا لا يعقل فيه شيئًا مما تقدم له من أمر المنازل الثلاثة، هناك يهيم في بحور ما شاء الله ثم يمده الله بنور العقل الأصلي في أنوار اليقين فيشهد موجودًا لا حد له ولا غاية بالإضافة إلى هذا العبد وتضمحل جميع الكائنات فيه، فتارة يشهدها فيه كما تشهد البناء بنيت في الهوى بواسطة نور الشمس فإذا انحرف نور الشمس عن الكوة لا تشهد للبناء أثرًا، والشمس التي تبصر بها هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين، فإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقي هذا الموجود، فتارة يفنى، وتارة يبقى حتى إذا أريد به الكمال نودي منه نداءً خفيًّا لا صوت له فيمد بالفهم عنه إلا أن الذي تشهده غير الله ليس من الله في شيء، وهناك ينتبه من سكرته فيقول: رب أغثني فإني هالك فتعلم يقينًا إن هذا البحر لا ينجيه منه إلا الله فحينئذ يقال له: إن هذا الموجود هو العقل الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل**»[1] وفي خبر آخر قال له: «**أقبل فأقبل**» الحديث، فأعطى هذا العبد الذل والانقياد لنور هذا الموجود إذ لا يقدر على حيرته وغايته فيعجز عن معرفته، فيقال له: هيهات لأن تعرفه بغيره فأمده جل وعلا بنور أسمائه فقطع ذلك كلمح البصر أو كما شاء الله ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام:٨٣] فأمده الله بنور الروح الرباني فعرفه هذا الموجود فترقى إلى ميدان الروح الرباني فذهب جميع ما تحلى هذا به العبد وتخلى عنه بالضرورة وبقي كلا شيء موجودًا قد أحياه الله بنور صفاته فأدرجه بهذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني فلما استنشق من مبادئ صفاته كاد يقول هو الله فلحقته العناية الأزلية فنادته، إلا أن هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحد أن

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس ١/ ١٣.

يصفه، ولا أن يعبر من شيء من صفاته لغير أهله لكن بنور غيره يعرفه فأمده الله بنور سر الروح فإذا هو قاعد على باب ميدان السر فنظر فعرف أوصاف الروح الرباني بنور السر فرفع همته ليعرف هذا الموجود الذي هو السر فعمي عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيء ثم أمده الله بنور ذاته فأحياه حياة باقية لا غاية لها فنظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة فصار أصلاً للموجودات نورًا شائعًا في كل شيء لا يشهد غيره، فنودي من قريب: لا تغتر بالله فإن المحجوب من حجب عن الله بالله إذ محال أن يحجبه غيره، ويحيا بحياة استودع الله فيه فقال: أي رب بك منك إليك فأقل عثرتي، وإني أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك فهذا هو سبيل الترقي إلى حضرة العلي الأعلى، وهو طريق المحبين أبدال الأنبياء والذي يعطي أحدهم من بعد هذا لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة والحمد لله على نعمائه والصلاة على محمد خاتم أنبيائه ﷺ.

وأما الطريق المخصوص بالمحبوبين فهو منه إليه به إذ محال أن يتوصل إليه بغيره فأول قدم لهم بلا قدم أن ألقي عليهم من نور ذاته فغيبهم بين عباده وحبب إليهم الخلوات، وصغرت لديهم الأعمال الصالحات وعظم عندهم رب الأرضين والسماوات، فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوب العدم فنظروا؛ فإذا هم لا هم ثم أردف عليهم ظلة غيّبتهم عن نظرهم، بل صاروا عدمًا لا علة له تتعلق فإن طمست جميع العلل وزال كل حادث، فلا حادث ولا وجود بل ليس إلا العدم الذي لا علة له، وما لا علة له لا معرفة تتعلق له بهم اضمحلت المعلومات وزالت المرسومات زوالاً لا علة فيه وبقي من أشير إليه لا وصف له ولا صفة ولا ذات، واضمحلت النعوت والأسماء والصفات، فلا اسم ولا صفة ولا ذات، فهناك ظهر من لم يزل ظهورًا لا علة له بل ظهر بسره لذاته في ذاته ظهورًا لا أولية له، بل نظر من ذاته لذاته بذاته في ذاته فحيي هذا العبد بظهوره حياة لا علة لها فظهر بأوصاف جميلة كلها لا علة لها، فصار أولاً في الظهور لا ظاهر قبله، فوجدت الأشياء بأوصافه جميلة كلها وظهرت بنوره في نوره، فأول ما ظهر بسره وظهر في قلمه ثم ظهر لسره بسره في سره وظهر بأمره الدواة في نور العلم بنور القلم ثم ظهر عقله بأمره في أمره وظهر به عرشه في نور لوحه بنور لوحه ثم ظهر لوحه بعقله في عقله وظهر بروحه كرسيه في نور عرشه بنور عرشه ثم ظهر قلبه بروحه في روحه وظهر بقلبه حجبه في نور كرسي بنور

كرسيه ثم ظهرت نفسه بقلبه في قلبه وظهر بنفسه فلك الخير والشر في نور حجبه بنور حجبه، ثم ظهر جسمه بنفسه في نفسه، وظهر بجسمه أجسام العالم الكثيف من أرض وسماء وعلى الجملة كل كثيف في نور الفلك بنور الفلك، فإذا أول قدم هذا المحبوب الفرد طرح النفس عدمًا هو طرح لا علة فيه وهو استقلال العدم بسقوط الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فيكون استقبال صفة معدومة للمعدوم ومعنى الصفة المعدومة للمعدوم أي لما انتهى العبد بدليل العلة وهو شهود الحق كلا شهادة متصلة غير منفصلة شهادة لا غفلة فيها قام عليه دليل لا علة فيه ولا له وهو شهود العدم المحض، ومعنى قيام الدليل الذي لا علة فيه ضرورة عدم المخلوقات والمشهودات هو دلك عليه ذلك دليل العدم المحض وهو سكرة النسيان الدائم أبدًا حتى حيي الحياة التي أشير إليها فيما تقدم من الكلام على هذا المقام، فإذا طريق هذا العبد طريق علوي أول ما طرح في بحر الذات وانعدم وأحيي حياة طيبة فُنقل من غير تنقل إلى بحر الصفات، ثم بحر الأمر الرباني بعده ثم بحر السر ثم بحر العقل الأصلي ثم بحر الروح ثم بحر القلب ثم بحر النفس ثم الحس، ثم لقيه بحر السر فطرحه في بحر القلمية، ثم بحر اللوحية ثم بحر العرشية، ثم بحر الكرسي، ثم بحر الحجبية، ثم بحر الفلكية فلقيه بحر السر المحيط وطرحه في بحر الملكية، ثم بحر الأبالسة، ثم بحر الجنية، ثم بحر الإنسية فلقي هناك بحر السر المحيط فطرحه في بحر الجنان، ثم بحر النيران، ثم طرحه في بحر الإحاطة وهو بحر السر فغرق هناك غرقًا لا خروج له منذ أبد الآبدين، فإن شاء بعثه عوضًا من النبي يحي به عباده، وإن شاء ستره يفعل في ملكه ما شاء وكل بحر من هذه الأبحر انطوت فيه أبحر شتى لو دخل الصالح الذي هو بدل النبي في أقل بحر من هذه الأبحر لغرق فيه غرقًا لا نجاة له منه، فهذه عدد من طريقي الخصوص والعموم والحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

تمت الرسالة لسيدي الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الملة قطب العارفين الشاذلي نفع الله به وبعلومه آمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا مباركًا دائمًا.

وصية سيدي
أبي الحسن الشاذلي

قدس الله سرّه

مرتبة على حروف الهجاء عن مخطوط مكتبة الأزهر

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر

دار الحقيقة



حرف الألف

- إيَّاكَ والعجزَ، فإنه شين الدِّين، وبئس القرين.
- إيَّاك والعجزَ، فأولُه جُنونٌ، وآخره ندمٌ.
- إيَّاك والبطنة، فمن لزمها كثُرتْ أسقامه، وفسدت أحلامه.
- إيَّاك وطاعةَ الهوى، فإنه يقودُك إلى كلِّ محنة.
- إيَّاك والمنَّ بالمعروف، فإنَّ الامتنان بالمعروف يفسد الإحسان.
- إنَّما العقلُ التخوف من الإثم، والنَّظر في العواقب، والأخذِ بالحزم.
- إنَّما الناس عالمٌ ومتعلمٌ ومستمعٌ، وما سواهم هَمَج.
- إنَّما العالم مَنْ قَادَه علمُه إلى الورعِ، والزهدِ في عالم الفناء، والرغبةِ في عالم البقاء.
- إنَّما يَعرِفُ الفضلَ لأولي الفضلِ أولو الفضل.

حرف الباء

- بحسن الموافقة تدوم الصحبة.
- بالإحسان يستبعد الإنسان.
- بالتواضع تُعرف الرفعة.
- بالتوفيق تكون السعادة.
- بالصدق يكون النجاة.
- بالرفق تدرك المقاصد.
- بالإخلاص ترفع الأعمال.
- بالتواني يكون الفَوات.
- بقدر اللذات يكون التنغيص.

حرف التاء

- تكاد ضمائر القلوب تطلع على سرائر الغيوب.
- تجرع غصص التحكم يطفئ الغضب.

- تكثرك بما يبقى لك ولا تبقى له، من أعظم الجهل.
- تتبع العيوب من أعظم الذنوب.
- تناس مساوي الناس تستدم ودهم.

حرف الثاء

- ثمرة العلم معرفة الله تعالى.
- ثمرة الإيمان الفوز بالله تعالى.
- ثمرة الوعظ الانتباه.
- ثمرة العقل الاستقامة.
- ثمرة الحزم السلامة.
- ثمرة اللجاج العَطب.
- ثمرة العجز فقط الطلب.
- ثمرة الزهد الراحة.
- ثمرة الحياة السُّقم والهِرَم.
- ثمرة المجاهدة قهر النفس.

حرف الجيم

- جميل الفعال يوجب حسن الجزاء.
- جود الإنسان يوجب له الإحسان.
- وجميلته يعطيها السخاء.
- جميع السيئات تمحوها الحسنات.

حرف الحاء

- حكمة الحكمة الإعراض عن دار الفناء، والوله بدار البقاء.
- حد العقل النظر في العواقب والرضا بما يجري به القضاء.
- حرام على كل ذي عقلٍ مغلوب بالشهوات أن ينتفع بالحكمة.
- حرام على كل قلب متوله بالدنيا تسكنه التقوى.

حرف الخاء

- خير العلوم ما أصلحك.
- خير العمل ما صحبه الإخلاص.
- خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك.
- خير من صاحبته ذو العلم والحلم.
- خير من شاورت ذو النهى والعقل، وأولو التجارب والحزم.
- خير الاجتهاد ما قارنه التوفيق.
- خير الناس من أخرج الحرص من قلبه، وخالف هواه في طاعة ربه.

حرف الدال

- دار عدوك وأخلص له ودك تحظ بالآخرة وتحز المروءة.
- دع الانتقام فإنه من سوء أفعال المقتدر، ولقد أخذ بجوامع الفضل من ردع نفسه عن سوء المجازات.
- داو الغضب بالصمت.
- داو الشهرة بالعقل.

حرف الذال

- ذلَّ في نفسك وعز في دينك.
- ذل الرجال في المطامع.

حرف الراء

- رأس الإيمان الصدق.
- رأس الإسلام الأمانة.
- رأس النفاق الخيانة.

حرف الزّاي

- زين المصاحبة الاحتمال.
- زهدك في الدنيا ينجيك، ورغبتك فيها توديك.
- زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة.
- زينة البواطن أجمل من زينة الظواهر.
- زينة الإيمان طهارة السرائر وحسن العوامل في البواطن لا الظواهر.
- زيادة الشهوة تزري بالمروءة.
- زهد المرء فيما يفنى على قدر رغبته فيما يبقى.

حرف السين

- سبب فساد العقل الهوى.
- سبب الشقاء حب الدنيا.
- سبب الفتنة الحقد.
- سبب الفرقة الاختلاف.
- سبب السلامة الصمت.

حرف الشين

- شر إخوانك المواصل عند الرخاء والمنقطع عند البلاء.
- شر الخلائق المتكبرون.
- شر الشيم الكذب.
- شر النوال ما تقدمه العطل وأعقبه المن.
- شر الناس من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره.
- شر إخوانك من أغرك بالعاجلة عن الآجلة.
- شر الأصحاب سريع الانقلاب.

- شر الأمور التسخط بالمقدور.

حرف الصاد

- صلاح السرائر من صحة البصائر، وحسن العمل بالبواطن لا بالظواهر.
- صن عرضك تكف أذاك.
- صل من وصلك ولا تفصل من فصلك.

حرف الضاد

- ضلال الدليل هلاك المستدل.
- ضل من اهتدى بغير هدى الله.
- ضاع من كان قصده غير الله.
- ضادد الجزع بالصبر، وضادد التكبر بالتواضع، وضادد الهوى بالعقل.

حرف الطاء

- طوبى لمن راقب قلبه وأقلع عن ذنبه.
- طوبى لمن غلب نفسه ولم تغلبه.
- طوبى لمن ملك هواه ولم يملكه.
- طوبى لمن كابد هواه وكذب مناه.

حرف الظاء

- ظن المرء ميزان عقله، وفعله أصدق شاهد على أهله.
- ظن العاقل خير من يقين الجاهل.
- ظالم الحق من نصر الباطل.
- ظفر الكريم ينجي، وظفر اللئيم يردي.

- ظلم المرء في الدنيا عنوان شقاء الآخرة.
- ظلم المعروف من وضعه في غير أهله.
- ظلم الحكمة من وضعها في غير أهلها.
- ظل الكرام رعاني، وظل اللئام رداني.
- ظن أُولي النهى والألباب أقرب شيء إلى الصواب.

حرف العين

- عليك بالآخرة تأتيك الدنيا جامعة صاغرة.
- عليك بالحكمة فإنها الخليلة الفاخرة.
- عليك بالسكينة فإنها أحسن وأفضل زينة.
- عليك بالمواصلة والموافقة، وإياك والمقاطعة والمفارقة.
- على قدر شرف النفس تكون المروءة.
- على قدر الدين يكون اليقين.
- عند حضور اللذات والشهوات يتورع الأتقياء.
- عجبت لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره.
- عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه.

حرف الغين

- غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه.
- غاية الإنصاف أن ينصف الإنسان من نفسه.
- غاية الإيمان الموالاة والمعاداة لله.
- غناء العاقل بقلبه.

- غناء الجاهل بماله.
- غض الطرف من المروءة.
- غيروا العادات تسهل عليهم الطاعات.
- غير منتفع بالموعظة قلبٌ معلَّق بالشهوات.
- غلبة الهزل تبطل عزيمة الجد.

حرف الفاء

- في تصاريف الدنيا اعتبار.
- في السكون إلى الغفلة اغترار.
- في كل نظرة عبرة.
- في حسن المصاحبة ترغب الرفاق.
- في خلاف النفس رشدها، وفي طاعتها غيها.
- فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه.
- فاز من ملك هواه، وملك دواعي نفسه.
- فاز من كابد هواه وكذب مناه.
- فروا إلى الله تعالى، ولا تفروا منه، فإنه مدرككم ولن تعجزوه.
- فوت الحاجة أهون من طلبها من غير أهلها.
- فاز من استبصر بنور الهدى وخالف دعاوي الهوى.

حرف القاف

- قليلٌ من الأدب خير من كثير من النسب.
- قولٌ لا أعلم نصف العلم.
- قل من صبر إلا ظفر

- قلة الأكل تمنع من إعلال الجسد.
- قلة الخلطة تصون الدين، وتريح من مقارنة الأشرار.
- قلوب الرجال وحشية، مَن ألفها أقبلت عليه.
- قدرتك على نفسك من أعظم القدرة، وأمارتك عليها خير الإمارة.
- قاربوا الناس بأخلاقهم تأمنوا غوائلهم.
- قدموا بعضاً يكون لكم، ولا تخلفوا كلا يكون عليكم.
- قبول عذر المذنب، من تَواجب الكرم ومحاسن الشِّيم.

حرف الكاف

- كل عارف خائف.
- كل قانع غني.
- كل عاقل مغبون.
- كل طامع أسير.
- كل حريص فقير.
- كل فان يسير.
- كل راض مستريح.
- كل برء صحيح.
- كل جمع إلى شتات.
- كل داء يتداوى منه إلا سوء الخلق.
- كل شيء يميل إلا طرائف الحكمة.
- كل شيء يستطاع إلا تغير الطباع.

- كم من غني يستغنى عنه، وكم من فقير يفتقر إليه.
- كم من أكلة منعت أكلات.
- كم من طالب خائب، وكم من مرزوق غير طالب.
- كم من مغرور بالستر عليه.
- كم من مستدرج بالإحسان إليه.
- كم من مبتلى بالنعماء ومنع عليه بالبلاء.
- كم من غني فقير.
- كم من فقير غني.
- كفى بالغفلة ضلالاً.
- كفى بالشيب نَذيرًا.
- كفى بالتكبر تِلافاً.
- كفى بالاغترار جَهلاً.
- كفى بالمرء عثرة أن يبصر من عيوب الناس ما يخفى عليه من عيوب نفسه.
- كفى بالمرء جهلاً أن ينكر على الناس ما يأتي بمثله.
- كفى توبيخاً على الكذب علمك بأنك كاذب.
- كثرة الأماني من فساد العقل.
- كثرة الغضب تزري بصاحبها وتبدي معايبه.
- كثرة الأكل من الشره.
- كثرة الدنيا قلّة، وعزها ذلة.
- كن بالوحدة أنيساً يفر منك قرناء السوء.
- كن من الكريم على حذر إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن الحليم إذا أحرجته.
- كل ما ارتفعت رتبة اللئيم نقص الناس عنده، والكرم ضد ذلك.
- كلما قَوَت الحكمة ضعفت الشهوة.

حرف اللام

- للأحمق في كل قول يمين.
- للإنسان فضيلتان النطق والعقل، فبالعقل يستفيد، وبالنطق يفيد.
- لينهك من معائب الناس ما تعرفه من معائب نفسك.
- لن يهلك العبد حتى يؤثر شهوته على دينه.
- ليس التملق من خلق الأتقياء.
- ليس لمتكبر صديق.
- ليس مع الاختلاف ائتلاف.
- ليس مع الشهوة عفاف.
- لو عقل أهل الدنيا لخربت.
- لو كنا نأتي لما يأتوا ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود.
- لسان المرائي جميل، وفي قلبه داء دخيل.
- لسان الحال أصدق من لسان المقال.

حرف الميم

- من جهل قلَّ اعتذاره.
- من حذرك كمن بشرك.
- ما تواضع إلا رفيع، ولا تكبر إلا وضيع.
- ما أحسن العفو مع الاقتدار، وما أقبح العقوبة مع الاعتذار.
- من أكرم بحدثه حسن مشهده.
- من خبث عنصره ساء منظره.
- من احتاج إلى الدنيا صحب الأدنياء.
- من احتاج إلى الآخرة صحب الأتقياء.
- من اعترف بالجريرة فقد استخفت عليه العقوبة.

- من لم تؤدبه الكرامة أدبته العلامة.
- من لم ينصت لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك.

حرف النون

- نعم الله أكثر من أن يشكر عليها إلا ما أعان الله عليه، وذنوب بني آدم أكثر من أن تغفر إلا ما عفا الله تعالى عنه .
- نعم الزَّين حسن الخلق.
- نعم الملبوس العافية.
- نعم العبد من خالف هواه، وأقبل على طاعة مولاه.

حرف الهاء

- هدى الله نور في القلب يفرق به العاقل بين الحق والباطل.
- اهرقوا دموعكم من خشية الله تنجوا من عذاب النار.

حرف الواو

- ويلٌ لمن نسي آخرته بدنياه.
- ويحٌ لمن خالف مولاه واتبع هواه.
- ويل لكل ظالم بغي، وفاجر غوي.
- واروا عوراتكم بالإحسان.

حرف لام ألف

- لا تأمن مَنْ نَمَّ لك أن ينمَّ عليك.
- لا تأمن من المكر ولا تنسوا الفضل.

حرف الياء

- يستدل على عقل المرء بحسن مقاله، وعلى طاهر أصله بجميل فعاله.
- يسير الرياء شرك.
- ويسير الظن شك.
- يسير الهوى يفسد العقل.
- يسير الحق يدمر كثير الباطل.
- يدُ الله أبداً عالية.
- يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم.

* * *

كمل المجموع بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده.

على يد أفقر الورى إلى الله محمد بن محمد الصبَّاغ الأندلسي- غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له ولجميع المسلمين- ووافق الفراغ سنة ١٠٩٣ هـ.

حِزبُ البَحْرِ لِسَيِّدِي أَبِي الحَسَنِ الشَّاذلي

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

يَقْرَأ سُورة الفَاتِحة، رَبِّ يَسِّر وَسَهِّل وَلاَ تُعَسِّر يَا مُيَسِّر، أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي، أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، بِسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، (اللهم) يَا الله يا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ يَا عَلِيمُ أَنْتَ رَبِّي وَعِلمُك حَسْبِي فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي وَنِعمَ الحَسْبُ حَسبِي، تَنصرُ مَن تَشَاءُ، وَأَنْتَ العَزيز الرَّحيم، نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ فِي الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالكَلِمَاتِ، وَالإِرَادَاتِ، وَالخَطَرَاتِ، مِنَ الشُّكُوكِ وَالظُّنُونِ وَالأَوْهَامِ السَّاتِرة للقُلُوبِ عَنْ مُطَالعَة الغُيُوبِ، فقد ابتلَى الله المُؤمنِين وَزُلْزِلُوا زِلزالاً شَديدًا ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]. فَثَبِّتنَا وَانصرنَا وَسَخِّر لنَا هَذَا البَحرَ كمَا سَخَّرتَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ لمحمدٍ – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – وَسَخرتَ البَحرَ لموسَى– عليه السلام – وَسَخرتَ النَّار لإِبراهِيمَ – عليه السلام – وَسَخَّرت الجِبَال وَالحَديد لِدَاودَ – عليه السلام – وَسَخَّرتَ الرِّيح وَالشَّياطِين وَالإِنْسَ والجِنَّ لسُلَيمانَ – عليه السلام – وَسَخِّر لنَا كُل بَحرٍ هُو لَكَ فِي الأَرضِ وَالسَّماءِ، وَالمُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَبَحْرَ الدُّنيَا وَبحرَ الآخِرة، إِنَّك عَلى كُل شَيءٍ قَديرٌ. وَسخِّر لنَا كُلَّ شَيء يَا مَن بِيدِهِ مَلكُوت كُلِّ شَيء، كهيعص (ثلاثًا)، انصرنَا فإِنكَ خَير النَاصِرين، وَافتحَ لنَا فإِنَّكَ خَيرُ الفَاتِحين، واغفِر لنَا فإِنَك خَيرُ الغَافِرين، وارزقنَا فإِنكَ خَيرُ الرَّازقينَ، وارحمنَا فإِنكَ خَيرُ الرَاحِمين، واهْدِنَا وَنَجِّنَا مِنَ القَوم الظَّالِمين، وَهَب لنَا مِن لَدُنكَ رِيحًا طيبًا كَمَا هِي فِي عِلْمِكَ، وَانشرْهَا علينَا مِن خَزائنِ لُطفِكَ وَرَحمتِكَ وَاحملنَا بِهَا حَمْل الكَرامةِ مَعَ السَلاَمَة وَالعَافِية في الدينِ، وَالدُّنيَا، والآخِرة، إِنَّكَ عَلى كُل شيء قديرٌ.

(اللَّهُمَّ) يَسِّر أُمُورنَا مَع الرَاحة لِقُلُوبنَا وَأَبدانِنَا والسَّلامَةِ وَالعَافِيةِ فِي دِينِنَا وَدُنيانَا، وَكُن لنَا صَاحبًا فِي سَفَرِنَا، وَخَلِيفةً فِي أَهْلِنَا، وَاطمِس عَلى وجوهِ أَعدَائِنَا، وَامسَخْهُمْ عَلى مَكَانَتِهِم، فَلا يَسْتَطِيعونَ المُضِيَّ وَلاَ المَجِيء إِلينَا، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦]، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ

لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٦٧]، ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١-١٠].

شاهت الوجوه للحي القيوم (ثلاثًا). ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

طه، طسم، طس، حمعسق ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠]، حم حم حم حم حم حم حم، [حُمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون].

(اللهم) لا تَقْتُلني بغَضَبِكَ، وَلاَ تَهلكني بِعَذَابِك، وَعَافِني قَبل ذَلك، (اللَّهُمَّ) لاَ تُؤاخِذني بِسوءِ عَمَلِي، وَلاَ تسلِّط عَلَيَّ مَن لاَ يَرحمني، وَكُفَّ أَيدِي الظَّالِمين عَنِّي، يَا حَفيظُ احفَظني، وَيَسِّرْ أُمُورِي، وَحَصِّل مُرَادِي، حُمَّ الأَمر، وَجَاء النَصر فَعَلينَا لاَ يُنصَرونَ، ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣]، بِسم الله بَابنَا، تَبَارَكَ حِيطَانُنَا، يس سَقْفنَا، كهيعص كِفَايتُنَا، حمعسق حِمَايَتُنَا، ق، وَالقُرآنِ المَجِيدِ وِقَايتُنَا، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] (ثلاثًا) سِترُ العرشِ مَسبولٌ عَلينَا، وَعينُ الله نَاظِرةٌ إِلينَا، بِحولِ الله لا يُقدَر علينَا، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢٠-٢٢] (ثلاثًا) ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] (ثلاثًا). ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] (ثلاثًا) ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] (ثلاثًا)، بِسمِ الله الذِي لاَ يَضُرُّ معَ اسمِهِ شَيءٌ فِي الأَرضِ وَلاَ فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم (ثلاثًا) وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوة إِلا بالله العَلي العَظيم (ثلاثًا).

ختام حزب البحر لسيدي زروق

بِسمِ الله شَافٍ، بِسمِ الله كَافٍ، بِسمِ الله مُعَافٍ هُوَ اللهُ، لاَ حَولَ وَلاَ قوَّةَ إلاَ بِالله العَليِّ العَظِيمِ، يَا اللهُ يَا نُورُ، يَا حَق يَا مُعِينُ، اكْسِنِي مِن نُورِكَ، وَعَلِّمنِي مِـن عِلمِـكَ، وَفَهِّمني عَنكَ، وَاسمِعني مِنكَ، وأبصرني بِـكَ، إنـكَ عَـلى كُـلِّ شَيءٍ قَـدِيرٌ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

وصَلَّى اللهُ عَلى خَيرِ خَلقه مُحمدٍ، يَا حَلِيمُ اسمَع دُعَائِي بِخَصَائِصِ لُطفِكَ، آمين، وَصَلَّى اللهُ عَلى سَيدِنَا مُحَمدٍ النَّبي الكَرِيمِ وَعَلى آلهِ وَصحبِهِ وَسلَّم، تَسليمًا كَثيرًا دَائمًا إِلى يوم الدينِ، وَالحَمدُ لله ربِّ العَالَمِينَ.

خَاتِم الحِزب: (ويقال: عزيمة حزب البحر نَحنُ في كَنَفِ الله، نَحنُ فِي كَنَفِ بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم، ألف ألفِ لاَ إِله إِلا اللهُ، مُحمدٌ رَسُولُ الله، فِي قُلوبِنَا حُشِرَت، ألف ألفِ لاَ إِله إلا اللهُ مُحمدٌ رَسُولُ الله، وَعَلى أكتَافِنَا نُشِرت، ألف ألفِ لاَ إِلهَ إلا اللهُ، مُحَمدٌ رَسُولُ الله، تَحُولُ بَينَنَا وَبينَ سَاعَةِ السوءِ إِذَا حَضَرَت، ألف ألفِ لا إِلهَ إلا اللهُ، مُحمدٌ رَسُولُ الله، دَارت بنَا سُورًا كما دَارت بِمَدينةِ الرَّسولِ – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

سُبحَان مِن أَلجَمَ كُلَّ مُتمَرِّد بِقُدرَتِه وَأَحَاطَ عِلمُهُ بِمَا فِي برٍّ وَبحرٍ، سُبحَانَ الله وَبِحَمده.

سُبحانك اللّهم وَبِحمدِكَ، نَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلا أَنتَ، نَستَغفرُكَ، وَنَتُوبُ إِليكَ.

سُبحَانَ الله العَظيم

وَصلَّى اللهُ عَلى سَيدنَا مُحَمد خَاتَم النَبيين وَالمُرسَلينَ

وَالحَمدُ لله رَبِّ العَالمين

ثم يَقرأ الفَاتحة سَبع مرات

فهرس الموضوعات

سيصدر - قريبًا ولأول مرة- بمشيئة الله تعالى

تعطير الأنفاس

بمناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي
وسيدي المرسي أبي العباس

قدس الله سرَّهما

تصنيف

الشيخ العلامة أبي الصلاح علي بن محسن الصَّعيدي المالكي الشاذلي الوفائي

رضي الله عنه

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر

دار الحقيقة

للبحث العلمي